

أعمال القلوب

عَنْ عَامِرٍ قَالَ: سَمِعْتُ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»^(١).

إخواني: يجب علينا تصفية القلوب من الأحقاد ومساوئ الأخلاق، والقلب سمي قلباً؛ لأنه يتقلب من حال إلى حال، فالقلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء.

وكان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»^(٢).

قال الحسن لرجل: "داو قلبك، فإن حاجة الله إلى العباد صلاح قلوبهم - يعني مراده منهم - ومطلوبة صلاح قلوبهم فلا صلاح للقلوب حتى تستقر فيها: معرفة الله وعظمته ومحبته، وخشيته ومهابته ورجاؤه، والتوكل عليه وتمتلي من ذلك، وهذا هو حقيقة التوحيد وهو معنى (لا إله إلا الله)".

أما أمراض القلوب، فهي إما شهوات أو شبهات ولا شفاء لها إلا بقراءة وتدبر القرآن والعمل به. قال تعالى: ﴿وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾^(٣).

(١) رواه البخاري، ومسلم.

(٢) رواه الترمذي، وقال الألباني: حديث صحيح.

(٣) الإسراء، الآية (٨٢).

أعمال القلوب

فمعرفة القلب وحقيقته وأوصافه أصل الدين وأساس طريق السالكين، ومعرفة القلب وأعماله جانب عظيم من جوانب الإيمان غفل عنها كثير من الناس، ولا أعني بالغافلين أهل الزيغ والضلال ولكن أعني الكثير من أهل السنة والجماعة ممن سار على هدي السلف الصالح، فإن الغالب لا يعطي القلب حقه من تزكية ومتابعة وعبادة وغيرها^(١).

* وللقلوب أعمال محمودة منها:

(المحبة - الخوف - الخشية - الخشوع - الرجاء - الصدق - التوبة - الإنابة - التوكل - الرضا - الرغبة - الرهبة).

* وللقلوب صفات مذمومة منها:

(الحسد - الظلم - الحقد - الخبث - المكر - الحيلة - الغضب - الشح).

فإن القلب يفسد كما يفسد الزرع بما ينبت فيه من الدغل. قال تعالى:

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ ذَكََّهَا﴾^(٢).

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: "من أدامن قول يا حي يا قيوم لا اله إلا أنت، أورثه الله عز وجل حياة القلب والعقل".

ويقول أيضا: "قد يهجم على قلب السالك قبض لا يدري ما سببه وحكم هذا القبض أمران:

١. التوبة والاستغفار؛ لأن ذلك القبض نتيجة جناية أو جفوة ولا

يشعر بها.

(١) كتاب القلوب وآفاتهما/ صلاح عبد الموجود.

(٢) الشمس، الآية (٩).

٢. الاستسلام حتى يمضي عنه ذلك الوقت، ولا يتكلف دفعه ولا يستقبل وقته مغالباً وقهراً" أ. هـ.

قال ابن الأعرابي: "اخرس الخاسرين من أبدى للناس صالح أعماله، وبارز بالقيح من هو أقرب إليه من حبل الوريد".

فالقلب يجب أن يتعاهده كما يتعاهد ملبسه ومأكله ومشربه بل هو أعظم؛ لأن الكفار لهم قلوب لكنهم لا يعقلون بها، فقد كان السلف - رحمهم الله تعالى - عندما يتكلم احدهم يقول في نفسه: "ماذا أردت بهذه الكلمة، فإن كانت للدلالة على الخير قال بها، وإن كانت غير ذلك امسك عن ذلك".

* ومن علامات صحة القلب ونجاته أموراً منها:

١ - أنه لا يزال يضرب على صاحبه حتى يتوب إلى الله تعالى وينيب.

٢ - أنه لا يفتر عن ذكر ربه ولا يفتر عن عبادته.

٣ - أنه إذا فاتته طاعة وجد لفواتها ألماً أشدَّ من فوات ماله.

٤ - أنه يجد لذة في العبادة أشدَّ من لذة الطعام والشراب.

٥ - أنه إذا دخل في الصلاة ذهب همه وغمه في الدنيا.

٦ - أنه أشح بوقته أن يضيعه من الشَّحيح بماله.

٧ - أنه بتصحیح العمل أعظم اهتماماً من العمل نفسه.

* وعلامات مرض القلب عكس ذلك.

فالواجب على المسلم التحلي بالأخلاق الحميدة، والبعد عن الصفات المذمومة، كما قال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (١).

وقالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: "كان خلق الرسول ﷺ القرآن" (٢).
ومن الصفات المذمومة "الحسد" الذي دب في كثير من المجتمعات وانقطعت الاوصال بين الناس من أجل الحسد، وهو نوع من معاداة الله عز وجل وذلك أن الشخص يتمنى زوال النعمة التي رزقها الله؛ لذلك العبد قال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ (٣).

فالكريم يخفيه واللئيم يبيديه، وهذه الصفة المذمومة يتولد منها الحقد والغيبة والهجر وأمور كثيرة، فالواجب على المسلم إذا رأى ما يعجبه أن يقول: "ما شاء الله تبارك الله" لكي لا يحسد أخيه المسلم على تلك النعمة، فالإنسان ينظر إلى من كنوزه ملأى ولا يغيضها النفقة. قال تعالى: ﴿وَلَا يَنْفَعُ الْإِنْسَانَ إِذَا عَلَّاهُ الْغُيُوبُ إِلَّا إِذَا عَسَفَ السَّيْفُ يُخَالِفُ بِالسَّيْفِ عَلَىٰ مَنْ يَهْوَىٰ أَفْئِدَةً يَخِيفُ﴾ (٤).

ومن الصفات المذمومة أيضاً "البخل" فالبخل مبغض عند أهله وفي مجتمعه. قال تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾

(١) القلم، الآية (٤).

(٢) رواه مسلم.

(٣) النساء، الآية (٥٤).

(٤) الحجر، الآية (٢١).

وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾. وقد ذكر بعض العلماء أن الفحشاء هي البخل، والله اعلم.

يقول أحدهم: "ليس أروح للمرء ولا أطرده لهُمومه ولا أقر لعينه من أن يعيش سليم القلب، مبرراً من وساوس الضغينة، وثوران الأحقاد، إذا رأى نعمة تنساق إلى أحدٍ رضي بها، وأحسن فضل الله فيها وفقر عباده إليها، وذكر قول الرسول ﷺ: «من قال حين يصبح اللهم ما أصبح بي من نعمة فمنك وحدك لا شريك لك، فلك الحمد ولك الشكر، فقد أدى شكر يومه، ومن قال مثل ذلك حين يمسي- فقد أدى شكر ليلته» (٢).

وبذلك يحيا المسلم ناصع الصفحة مستريح النفس من نزغات الحقد الأعمى، فإن فساد القلب بالضغائن داء عياء، وما أسرع أن يتسرب الإيثار من القلب المغشوش كما يتسرب السائل من الإناء المثلوم ونظرة الإسلام إلى القلب خطيرة، فالقلب الأسود يفسد الأعمال الصالحة ويطمس بهجتها ويعكر صفوها، أما القلب المشرق، فإن الله عز وجل يبارك في قليله وهو إليه بكل خير أسرع.



(١) البقرة، الآية (٢٦٨).

(٢) رواه أبو داود، وحسنه ابن باز في تحفة الأخيار.

قسوة القلوب

لقد ذكر الله عز وجل قسوة القلوب في القرآن، وأنها صفة من صفات اليهود.

قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشْقُقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾^(١).

* أسباب قسوة القلوب كثيرة، ومنها:

١. هجر قراءة القرآن وتدبر معانيه. قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾^(٢).

٢. التعلق بالماديات وضعف التوكل على الله عز وجل.

٣. التوسع في المباحات (من مأكّل ومشرب وغيرها) فلا إفراط ولا تفريط، وخير الأمور الوسط.

٤. إهمال محاسبة النفس.

٥. كثرة الكلام والمزاح.

٦. الغفلة عن الموت وما بعده.

٧. المنافسة على الدنيا.

٨. الإعراض عن القراءة النافعة وحضور مجالس الذكر.

٩. مشاهدة القنوات الفضائية الفاسدة.

(١) البقرة، الآية (٧٤).

(٢) محمد، الآية (٢٤).

١٠. عدم الإمام بسيرة الرسول ﷺ.

١١. نسيان المنعم سبحانه وتعالى والاتكال على النفس. قال تعالى:

﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾^(١).

١٢. الإهمال عن تربية الأولاد والجلوس معهم، وتركهم يتربون على الأجهزة الالكترونية والخدم في البيوت. قال رسول الله ﷺ: «كلكم راع ومسؤول عن رعيته... الحديث»^(٢).

قال الشاعر:

وينشئ ناشئ الفتيان منا على ما كان عودُهُ أبوه

١٣. الغفلة عن الصدقة والهدية.

١٤. النوم عن الصلوات المفروضة (كالفجر والعصر).

١٥. عدم إلقاء السلام عند لقاء أخيك المسلم.

١٦. عدم المعاملة الحسنة للناس.

١٧. الأنانية وحب الذات وعدم الاهتمام بالفقراء والمساكين،

وتفقد الأراامل والأيتام والإحسان للجيران، وترك النصح لكل مسلم.

١٨. سرعة الغضب وعدم التأني والرفق في الأمور كلها.

١٩. قطيعة الأرحام.

٢٠. الاغترار بالصحة والشباب والغفلة عن زيارة المرضى والمسنين

في المستشفيات ودور العجزة وغيرها.

٢١. التشاؤم، وكان رسول الله ﷺ يعجبه الفأل.

(١) النحل، الآية (٥٣).

(٢) متفق عليه.

٢٢. ترك متابعة النبي ﷺ في أفعاله وأقواله. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾^(١).

ومنشأ القسوة قد يكون من البيئة التي عاشها فيها الشخص في حالة صغره.

* لماذا القسوة؟! *

بعض الناس يرى أن القسوة هي التي تجعل الإنسان يسيطر على كل شيء، وأن تكوين الشخصية يكون بذلك، وذلك خلاف لما أمر الله به نبيه ﷺ ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَأْمُرْ بِهِ لَكُنَّا مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٢).
 ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾^(٣).

* علاج القسوة:

١- أعظم علاج وشفاء للأسقام البدنية والأخلاقية هو القرآن الكريم. قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾^(٤).

٢- صلة الأرحام.

٣- الصدقة.

(١) الأنفال، الآية (٢٤).

(٢) آل عمران، الآية (١٥٩).

(٣) الإسراء، الآية (٨٢).

٤- زيارة المقابر لقوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «.. فزوروا القبور، فإنها تذكركم الموت»^(١).

٥- التقرب إلى الله عز وجل بالنوافل بعد الفرائض.

٦- مجالسة الفقراء والمساكين وتفقد أحوال الجيران.

٧- محبة المسلمين لبعضهم. قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»^(٢).

٨- ترك الذنوب والمعاصي.

٩- كثرة الاستغفار.

١٠- الإحسان إلى الناس.



(١) رواه مسلم.

(٢) متفق عليه.

أهمية الوقت

قال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۖ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۖ﴾^(٢).

والآيات والأحاديث كثيرة مما تدل على أهمية الزمن وعلى استغلال أوقات الفراغ بما يعود علينا بالنفع والتزود ليوم المعاد، إما مجاهدة للنفس أو نفع للغير أو عمل صالح، ولا ينبغي تضييع الأوقات سدى في القيل والقال، ومن كانوا يعتنون بالوقت من العلماء والصالحين: الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ فمن شدة حرصه على الوقت وهو في السيارة إما يذكر الله عز وجل أو يقرأ أحد طلابه عليه بعض الكتب ويقوم بالتعليق.

وأيضاً: عندما يكون في دروسه العلمية لا يتوقف عن ذكر الله عز وجل، وكذلك عندما يسأله أحد السائلين ويتوقف السائل قليلاً عن الكلام يبدأ الشيخ بذكر الله عز وجل، وعندما يؤذن المؤذن يجيب المؤذن ولو كان مشغولاً وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

(الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك).

فأنفاسك معدودة، وحركاتك مرصودة فلا يمضي يوماً إلا وأنت متزوداً بعمل صالح، فالموت يأتي بغتة بدون مقدمات، فماذا اعددنا لذلك اليوم؟ فهذه الحياة مزرعة للآخرة.

(١) العصر، الآية (٣).

(٢) الليل، الآية (١، ٢).

قيل لأحدهم: "لماذا لا تزورنا؟ قال: أمسك الشمس".

عن موسى بن إسماعيل قال: "لو قلت أني ما رأيت حماد بن سلمة ضاحكاً، لصدقت، كان مشغولاً، إما أن يحدث أو يقرأ أو يسبح أو يصلي قد قسم النهار على ذلك".

أولئك قوم عرفوا الطريق ولزموه، وخافوا من هول المطلاع والعرض الأكبر فاستعدوا لما في المستقبل.

وكان ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يقول: "إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك" (١).

فضياع الوقت اشد من الموت؛ لأن الموت يقطعك عن الناس، وضياع الوقت يقطعك عن السير إلى الله عز وجل.

وأوقاتنا تضيع بين القيل والقال وجلسات سهر من غير اغتنام للأوقات إلا ما رحم الله، فمتى نستدرك أوضاعنا ونستثمر أوقاتنا.

عن أبي برزة الأسلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسئل عن عمره فيم أفناه، وعن علمه فيم فعل، وعن ماله من أين اكتسبه؟ وفيم أنفقه؟ وعن جسمه فيم أبلا» (٢).

ومن فضل الله عز وجل ودلائل توفيقه، أن يلهم الرجل استغلال كل ساعة من عمره في العمل والاستجمام من جهد استعداداً لجهد آخر. قال تعالى: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٣).

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه الترمذي، وقال الألباني: حديث صحيح.

(٣) القصص، الآية (٧٣).

أهمية الوقت

ومن المؤسف من البعض أنهم لا يبالون بإضاعة أوقاتهم سدى ويضمون إلى ذلك السطو على أوقات غيرهم ليشغلهم بالشؤون التافهة، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال النبي ﷺ: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ»^(١).

ومن محافظة الإسلام على الوقت حثه على التبكير حيث رغب في أن يبدأ المسلم أعمال يومه نشيطاً طيب النفس مكتمل العزم، فإن الحرص على الانتفاع من أول اليوم يستتبع الرغبة القوية في أن لا يضيع سائره سدى، ويكره السهر الذي يؤخر عن صلاة الصبح.

وفي الحديث قال الرسول ﷺ: «اللهم بارك لأمتي في بكورها»^(٢). إذ أن الجادين والكسالى يتميزون في هذا الوقت، فيعطى كل امرئ حسب استعداده من خيري الدنيا والآخرة^(٣). أ. هـ. بتصرف.

قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: "أدركت أقواماً كانوا على أوقاتهم أشد منكم حرصاً على دراهمكم ودنانيركم. فكيف بزماننا؟ الله المستعان".

وينبغي للإنسان المؤمن أن ينظم وقته بين الواجبات والأعمال المختلفة دينية كانت أو دنيوية حتى لا يطغى بعضها على بعض، ولا يطغى غير المهم على المهم، ولا المهم على الأهم، ولا غير الموقوت على الموقوت، فما كان مطلوباً بصفة عاجلة يجب أن يُبادر به ويؤخر ما ليس

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه أبو داود.

(٣) كتاب خلق المسلم، للغزالي.

له صفة العجلة، وما كان له وقت محدد يجب أن يعمل في وقته.
وأحوج الناس إلى تقسيم الوقت وتنظيمه هم المشغولون من الناس
من أصحاب المسؤوليات، لتزاحم الأعباء عليهم، حتى إنهم ليشعرون
أن الواجبات أكثر من الأوقات.
ومن تنظيم الوقت أن يكون فيه جزء للراحة والترويح، فإن النفس
تسأم بطول الجد والقلوب تمل كما تمل الأبدان^(١).



(١) الوقت في حياة المسلم، القرضاوي.

إن مع العسر يسرا

الإنسان في هذه الدنيا يتقلب بين أقدار الله عز وجل: فقرٌ وغنى، وسعادةٌ وشقاء، وإقبالٌ وإدبار من جميع النواحي، وأنها لا تدوم على حال ولا تصفو لأحد، وأن الدار الآخرة هي النعيم المقيم الذي لا يزول ولا ينقضي.

قال الشاعر:

ترجوها صفواً من الأكدار فهذه الدار ليست بدار قرارٍ

أخي الحبيب: هذه رسالة إلى من ضاقت عليه الأرض بما رحبت؛ وإلى من يشكو من زوجة أو ولد وآذاه أقرابه وجيرانه... إلى من تغيرت عليه أحوال الناس، إلى من يعيش تلك الأحوال. قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْسُ مِنَ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾^(٢). وقال

تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾^(٣). وقال تعالى: ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾^(٤).

* وصف الله عز وجل الحياة الدنيا في آيات كثيرة منها:

قوله تعالى: ﴿يَقَوْمُ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَّعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارٌ

الْقَرَارِ﴾^(٥).

(١) يوسف، الآية (٨٧).

(٢) الرحمن، الآية (٢٩).

(٣) الطلاق، الآية (٧).

(٤) الشرح، الآية (٦).

(٥) غافر، الآية (٣٩).

وقال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿١٦﴾ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿١٧﴾﴾ (١). وقال عز وجل: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ وِزِينَةٌ ﴿٢٧﴾ وَتَفَاخُرُ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَأُهُ ثُمَّ يَهْبِجُ فَتَرَكُهُ مَصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿٢٨﴾﴾ (٢).

* وكما هو معروف قصة أبونا آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ عندما عصى ربه، أهبط إلى الدنيا قال تعالى: ﴿قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ * قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ (٣).

* كيف كانت حياة الرسول ﷺ في الدنيا:

عاش يتيمًا، طرد من أهله وعشيرته، رمي بالحجارة عند دعوته لأهل الطائف حتى سال الدم منه ﷺ، قيل أنه ساحر وكاهن ورموه بالشعر والجنون.

وفي غزوة أحد كسرت رباعيته ﷺ وشج جبينه والدم يسيل على وجهه ﷺ. ووضع سلى الجزور على ظهره ﷺ وهو ساجد بين الركنين عند الكعبة، وربط الحجر على بطنه من شدة الجوع عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يمر الشهر والشهران ولم يوقد في بيته النار، بل كان طعامه الأسودان الماء والتمر، ويوضع في طريقه ﷺ الأشواك

(١) الرحمن، الآية (٢٦، ٢٧).

(٢) الحديد، الآية (٢٠).

(٣) الأعراف، الآية (٢٤، ٢٥).

إِنْ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا

والأحجار، وكان ﷺ يصلي النافلة في بيته يغمز رجلي عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ليتمكن من السجود من ضيق غرفته.

استضافه رجل من الأنصار هو وأصحابه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فقدم لهم: ماءً وبسر وشواءً من جدي ذبحه لهم، فقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لتسألن يومئذ عن هذا النعيم ظلّ وماءً بارد وبسر وشواء.

* دعوة للتفأول:

بعد الظلام نور، وبعد التعب راحة، بعد المرض عافية، وبعد الفقر غنى، بعد الضيق فرج...، وبالصبر والتجلد ينال ما يطلب ومن المحال دوام الحال.

كان رسول الله ﷺ (يعجبه الفأل) والفأل هو تأميل الخير، وإحسان الظن بالله عز وجل، وكان ﷺ إذا سمع اسماً حسناً أنشرح صدره لذلك. ولما أقبل سهيل بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قصة الحديبية ليتفاوض مع الرسول ﷺ ورآه مقبلاً. قال ﷺ: «سَهْلٌ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ»، وكان كما أمّل ﷺ، فكان مجيئه سبب خير.

* قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "كثيراً من الناس إذا رأى المنكر، وتغير كثيراً من أحوال الناس، جزع وناح كما ينوح أهل المصائب وهو منهي عن هذا، بل هو مأمور بالصبر والتوكل والثبات على دين الإسلام، وأن يؤمن بأن الله مع الذين اتقوا، وأن الرسول ﷺ يقول: «بدأ الإسلام غريباً، ثم يعود غريباً كما بدأ». أ. هـ.



لماذا نقرأ

* القراءة، وأهميتها:

أول آية نزلت على الرسول ﷺ. قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾^(١).

مما يدل على أهمية القراءة، ففي القراءة يُعرف الحلال والحرام، وتعرف السنن وفضائل الأعمال وسيرة النبي ﷺ وأصحابه -رضوان الله عليهم- والجنة والنار، وأخبار الأمم السابقة وما فيها من عبر. والملاحظ أن كثيراً من الناس تركوا القراءة، بل حتى بعض طلاب العلم عزفوا عن القراءة، ويكتفي بعضهم لحضوره الدرس فقط، ولا حدد وقتاً للقراءة، وقد ثبت أن تقدم الغرب في الصناعة والتجارة، بسبب القراءة، يقول أحد اليهود: "اطمأنوا فإن العرب لا يقرؤون".

* أحوال الأشخاص الذين لا يقرؤون:

طريقة مملة، وثقافة ضئيلة، زمنٌ مهدر لا قيمة له، وإذا قلت لأحدهم لماذا لا نقرأ؟ قال: ليس عندي وقت...! سبحان الله عندما يذكر له القراءة يقول ذلك، وتجد عنده وقت لقراءة الصحف والمجلات وجلسات أمام الشاشات الفضائية...!

(١) العلق، الآية (١).

* طرق وتوجيهات للقراءة النافعة:

الاستعانة بالله عز وجل بالدعاء أن يفتح الله عليك بالقراءة، ثم العزيمة على ذلك وهذه بعض الطرق التي تساعدك بإذن الله تعالى على القراءة وهي:

١. قراءة الكتيبات الصغيرة مثل: (القصص الهادفة، القضايا الاجتماعية والتربوية، كيف تحافظ على صحتك، السعادة، النجاح في الحياة... إلخ من الكتيبات التي تُرغَّبُ في قراءتها).

٢. التعاون مع شخص للقراءة جميعاً، كأن يقرأ أحدهما كتاباً، ثم يناقش ذلك الموضوع بطريقة الحوار.

٣. تحديد وقتاً للقراءة (ليلاً أو وقت الصباح الباكر).

٤. الذي لا يتمكن من القراءة، يضع كتاباً في غرفته، ثم يقرأ فيه قبل النوم لمدة عشرة دقائق فإن في ذلك خيراً كثيراً.

٥. التدرج في القراءة وعدم الاستعجال بقراءة المطولات.

٦. الإكثار من دعاء "اللهم يا معلم إبراهيم علمني، ويا مفهم سليمان فهمني".

٧. التنوع في القراءة مثل: (عقيدة، حديث، تاريخ، قصص، مواظ ورقائق، ثقافة عامة، أدب... إلخ)

٨- الكتاب لن تستطيع أخذ الفائدة منه إلا بقراته من أوله إلى آخره.

٩- إذا شعرت بالملل أغلق الكتاب ولا تواصل في القراءة، ولا يكن

مرادك إنهاء الكتاب.

- ١٠ - القراءة في مكان هادئ وإضاءة جيدة.
- ١١ - وضع خط بالقلم أو علامة تحت الكلمة أو الموضوع المهم.
- ١٢ - زيارة بعض المكتبات العامة.
- ١٣ - في بدايتك للقراءة حدد وقتاً يسيراً لذلك.
- ١٤ - حضور مجالس الذكر، ففيها نفع كبير إن تيسر لك ذلك.
- ١٥ - القراءة في كتب السلف الموثوقة بسلامة المعتقد والمنهج.
- ١٦ - للفهم (قراءة صامته)، وللحفظ (قراءة بصوت مرتفع).
- ١٧ - كتابة وصيد الفوائد والمعلومات المهمة وتسجيلها في دفتر. وبعد فترة من الزمن تجد أنك حصلت كنز من المعلومات والفوائد.
- ١٨ - لصحة العينين القراءة في الكتب ذات الخط الكبير.
- ١٩ - تنويع الجلسة في القراءة.
- ٢٠ - الحرص على كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ففيها خيرٌ كثير.

* الهمّة في القراءة:

تنمو الهمّة مع الشخص إذا كان عنده عزيمة وطموح وترقي لمعالي الأمور والبعد عن سفاسفها، والنظر إلى الدنيا وما يشوبها من نغصّ ومصائب مؤلمة وأن نعيمها زائل وأن الإنسان لم يخلق عبثاً، فلا بد له من استغلال الوقت بما يقربّه إلى ربه عز وجل.

* وإليك أخي الحبيب أحوال السلف مع القراءة:

١- كان عبدالحق الدهلوي دائم الاشتغال مكباً على المطالعة في دياجير الليالي حتى أنه قد احترقت عمامته غير مرّة بالسراج الذي كان يجلسه أمامه للمطالعة فما كان ينتبه له حتى تتصل النار ببعض شعره.

هكذا يكون الأنس والحب للقراءة بقطع الشواغل، أما واقعنا انشغال بالجوال حتى عند قراءة القرآن -والله المستعان-.

٢- يقول ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ: "من انفق عصر الشباب في العلم، فإنه في زمن الشيخوخة يحمّدُ جنّي ما غرس"^(١).

٣- ذكر الإمام الذهبي رَحِمَهُ اللهُ: "أنه قرأ سيرة ابن هشام في ستة أيام".

٤- من علامة كمال العقل: "علو الهمّة، والراضي بالدون دني"^(٢).

٥- يقول أبو الوفاء ابن عقيل الحنبلي رَحِمَهُ اللهُ: "إني لا يحل لي أن أضيع ساعة من عمري، حتى إذا تعطل لساني عن مذاكرة ومناظرة، وبصري عن مطالعة وكان يختار سفّ الكعك وتحسّيه بالماء على الخبز؛

(١) صيد الخاطر (٢/٣٢٩) طبعة الأستاذ/ علي الطنطاوي.

(٢) نفس المصدر السابق.

- لأجل ما بينهما تفاوت المضغ توفراً على مطالعة أو تسطير فائدة".
- ٦- يقول الفيروز آبادي: "اشتريت بخمسين ألف مثقال ذهباً كتباً، وكان لا يسافر إلا وصحبته منها عدّة أحمال، ويخرج أكثرها في كل منزل فينظر فيها، ثم يعيدها إذا ارتحل".
- ٧- كان ابن المبارك رَحِمَهُ اللهُ: يكثر جلوسه في بيته فقيل له: "ألا تستوحش؟ قال: كيف استوحش، وأنا مع النبي ﷺ وأصحابه؟".
- ٨- قيل لرجل: "من يؤنسك؟ فضرب بيده إلى كتبه، وقال: هذه. فقيل: من الناس. فقال: الذين فيها".
- ٩- أبو شامة المقدسي رَحِمَهُ اللهُ: "ضعف بصره من كثرة المطالعة والبكاء، وكان أوحّد زمانه في علم الحديث".
- ١٠- قال ابن الأبنوسي: "كان الحافظ الخطيب يمشي وفي يده جزء يطالعه".
- ١١- الشيخ علي الطنطاوي رَحِمَهُ اللهُ: "كان يجلس في الليل ليقراً، فإذا غلبه النعاس اتكأ برأسه على وسائد أعدت له، فأغفى ساعتين أو ثلاثاً من الليل متقطعات ومن النهار ساعة، يقول أمضي يومي أكثره في الدار أقرأ، وربما مر علي يوم أقرأ فيه (٣٠٠) صفحة".
- ١٢- قال عبدالله بن المعتز: "الكتاب والجُّ للأبواب، جريء على الحجاب، مُفهم لا يفهم، وناطق لا يتكلم".

* أسباب العزوف عن القراءة:

١. عدم تنظيم الوقت.
٢. عدم اعتياد شغل الفراغ بالقراءة.
٣. تعدد الوسائل الإعلامية الجذابة التي تملأ فراغ الناس وتصرفهم عن القراءة.
٤. الإنهماك في اللهو واللعب وضياع الوقت بما لا فائدة فيه.
٥. قلة الوعي بأهمية القراءة لبناء الإنسان.
٦. تقصير كثير من أصحاب التوجيه من المدرسين ومديري الجامعات والمدارس في توعية الفرد بأهمية القراءة.



آداب النصيحة

إن النصيحة لله، ولكتابه ولرسوله وللمؤمنين هي من أعظم الأمور الواجبة على المسلم، بل إن النبي ﷺ قد جعلها هي الدين كله لما قال: «الدين النصيحة». قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال ﷺ: «لله ولكتابه ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم»^(١).

بل ولقد بلغ من اهتمام النبي ﷺ بالنصيحة أنه كان يبايع عليها، ويلزم بها فعن جرير رضي الله عنه قال: "بايعت رسول الله ﷺ على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم"^(٢).

وكذلك جعل النبي ﷺ النصيحة الصادقة للمسلم من حقه على أخيه المسلم فقال: «حق المسلم على المسلم ست... الحديث، وإذا استنصحك فانصح له»^(٣).

والواجب على كل مسلم النصح لأخيه المسلم مهما كانت شخصيته في المجتمع، وإن لم يقدر الشخص على المواجهة فيكتب له ورقة فيها النصح تكون بأسلوب واضح ومناسب دون تجريح للشخص.

أما إذا أمكن نصحه موجهه فيكون سراً وليس أمام الناس علانية؛ لأن أكثر الناس لا يقبلون النصيحة إذا كانت في العلن، وذلك لما فيها من إحراجهم أمام الناس، وأما النصيحة في السر فإنها تحمل هذه المعاني

(١) رواه مسلم..

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه مسلم.

وقد قيل: "من وعظ أخاه سرّاً فقد وعظه وزانه، ومن وعظ علانية فقد فضحه وشانه".

ويجب التنبيه على الخطأ باختصار، ولا تلق محاضرة يقولون: "إن الناصح كالجلاد وبقدر مهارة الجلاد في الجلد يبقى الألم، لاحظ (قوله): مهارة الجلد... لا قوة الجلد!".

فالجلاد العنيف الذي يضرب بقوة يتألم المضروب وقت وقوع السياط ثم ما يلبث حتى ينساها، أما الجلاد الاستاذ في صنعتته فقد لا يضرب بقوة؛ لكنه يعلم أين يوقع السوط، كذلك الناصح ليست العبرة بكثرة الكلام ولا طول النصيحة، وإنما بأسلوب الناصح فاختر قدر المستطاع إذا أردت أن تنصحه فلا تلق عليه محاضرة. ولو تأملت النصائح النبوية الشخصية المباشرة فوجدتها لا تزيد الواحدة منها على سطر أو سطرين.

أ- أَرع سمعك لقول النبي ﷺ في النصيح والإرشاد وإيجازه:
١. «يا علي: لا تتبع النظرة النظرة، فإن لك الأولى وليست لك الثانية»^(١).

٢. «يا عبدالله بن عمر: كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»^(٢).

٣. «يا معاذ: والله أني احبك، فلا تدعن في دبر كل صلاة أن تقول اللهم اعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»^(٣).

(١) صححه الألباني.

(٢) رواه البخاري.

(٣) صححه الألباني.

ب- وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان على فراش الموت فجعل الناس يدخلون عليه تباعاً يودعون ويثنون عليه، وجاء شاب، فقال: ابشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك من صحبة رسول الله ﷺ وقدم في الإسلام ما قد علمت، ثم وليت فعدلت، ثم شهادة. فقال عمر: "وددت أن ذلك كفاف لا علي ولا لي".

فلما قدم الشاب فإذا ازاره يمس الأرض مسبل. أي ازاره تحت الكعبين، فاراد عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يقدم النصيحة. فقال: "ردوا علي الغلام".

فلما وقف الشاب بين يديه قال: "يا ابن أخي ارفع ثوبك، فإنه أنقى لثوبك وأتقى لربك".

وأيضاً: قصة الأعرابي الذي بال بالمسجد.

خلاصة الكلام: اترك الجدل قدر المستطاع خاصة إذا شعرت أن الذي أمامك يكابر، فالمقصود إيصال النصيحة إليه لا فتح المناظرة معه، وقد ذم الله الجدل: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾^(١).

وقال النبي ﷺ: «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل»^(٢). وقال: «أنا زعيم لبيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محققاً»^(٣).

أحياناً يقنع الشخص بالفكرة لكن أكثر النفوس فيها أنفة وكبر. كما

(١) الزخرف، الآية (٥٨).

(٢) حسنه صححه الترمذي.

(٣) حسنه الألباني.

قال تعالى عن فرعون وقومه لما عرفوا الحق وصدقوه بقلوبهم، لكن منعهم الكبر من اتباعه ﴿وَحَدِّثُوا بِهَا وَاسْتَيْقِنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾^(١)، وخاصة إذا كابر على حديث صحيح عن النبي ﷺ.

فالغاية عندك أن تعرف المنصوح خطأه ليتجنبه في المرة القادمة وليس الغاية أن تنتصر عليه، فكلنا نخطأ وخير الخطائين التوابون، والله عز وجل يغفر الذنوب جميعاً. قال تعالى: ﴿قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾^(٢).

دخل النبي ﷺ على علي وفاطمة رضي الله عنهما ليلاً فقال لهما: «ألا تصليان. أي لا تقوموا الليل؟». فقال علي: أنفسنا بيد الله متى شاء أن يبعثنا بعثنا، فولّاهما النبي ﷺ ظهره ومضى وهو يضرب بيده على فخذه ويقول: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾^(٣).

وأحياناً قد يذكر المنصوح كلاماً يتعذر به وهو ليس عذراً مقنعاً لكنه يقول له ليحفظ ماء وجهه، فكن سمحاً واقبل العذر ولا تشدد معه ولا تغلق عليه الأبواب، بل أبقها مفتوحة أمامه وأنت تنصح حتى لو تكلم بكلام خاطئ، فيمكن أن تعالج خطأه من حيث لا يشعر كأن تشني عليه وعلى فهمه وجراته، ثم تبدأ في علاج الخطأ.

(١) النمل، الآية (١٤).

(٢) الكهف، الآية (٥٤).

(٣) الزمر، الآية (٥٣).

وسائل وطرق في الحسبة

♦ خطورة ترك الاحتساب:

قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾^(١).

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: "لعنوا بكل لسان، لعنوا في عهد موسى في التَّوراة، ولعنوا على عهد داود في الزَّبُور، ولعنوا على عهد عيسى في الإنجيل، ولعنوا على عهد محمد ﷺ في القرآن"^(٢).

أفضلية من يقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟

قال تعالى: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٣).

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيـان»"^(٤).

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: "الناس محتاجون إلى مداراة ورفق الأمر بالمعروف بلا غلظة، إلا رجل معلن بالفسق فلا حرمة له".

وقال أيضاً: "يأمر بالرفق، فإن أسمعوه ما يكره لا يغضب، فيكون

(١) المائدة، الآية (٧٨، ٧٩).

(٢) الطبري (٣١٧/٦).

(٣) آل عمران، الآية (١٠٤).

(٤) رواه مسلم.

يريد أن ينتصر لنفسه" (١).

❁ وسائل وطرق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

١. شخص لا يصلي مع الجماعة: وضع مطوية من تحت الباب لذلك الرجل لعدة أسباب منها:

أ- كشف أمره بين أهله.

ب- اشعاره بأنه مراقب من جماعة المسجد.

٢- للقيام بنصح من يستمع إلى الغناء من المناسب أن تقول له الحديث، أن النبي ﷺ يقول: «ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف» (٢).

وأيضاً حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: "سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل أمتي معافي إلا المجاهرين... الحديث» (٣).

٣- الإنكار على المرأة لابد من مراعاة الأمور التالية:

أ. أن تكون بعيداً عنها بمسافة عدة أمتار حتى لا تكون مصادمة.

ب. أن يكون الإنكار بصوت مرتفع وأسلوب جيد يشكر الناس عليه مثل: جزاكم الله خيراً لا يجوز للمرأة أن تلبس العباءة المخصرة (المتبرجة).

أو يقول: يجب على المرأة أن تلبس عباءة الرأس وأن تغطي وجهها عن الرجال، ونحو ذلك.

ج- لا تقف ولا تستوقف، فلا يقف عندها ولا يستوقفها، وإذا

(١) جامع العلوم والحكم (١/٣٢٢).

(٢) أخرجه البخاري تعليقاً بصيغة الجزم، وقد صححه جماعة من العلماء منهم البخاري، والنووي، وابن تيمية، وابن القيم، وابن حجر.

(٣) متفق عليه.

تكلمت فلا يرد عليها، وألا يدخل معها أو مع وليها في خصومة وإنها ينكر ويمضي في طريقه دون التفات إليها.

إذا كانت المرأة غير مسلمة تؤمر بلبس العباءة، ويمكن عند الحاجة أن يقال بأن كشف الرأس وعدم لبس الجلباب مخالف للنظام ويجرح مشاعرنا نحن المسلمين.

❁ إذا كان لك قريب عليه منكر!

عليك الإنكار بالدخول في الموضوع مباشرة بدون مقدمات.

❁ الإنكار على المدخن:

أ- أطفئ السيجارة طاعة لله عز وجل.

ب- أطفئ السيجارة بارك الله فيك.

❁ إذا وجد امرأة متبرجة مع محرماً ينكر عليها وهو معها بصوت يسمعه إياه.

❁ القيام بالدعوة إلى الله في محطات الوقود والطرق السريعة أن وجد (تسجيلات الغناء، أو بيع دخان... إلخ).

❁ توجيهات لمن يقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

١. الشفقة على المخالف، والدعاء له، وقصد الإحسان إليه.

٢. الأصل هو الستر وعدم كشف التفاصيل.

٣. أسلوب الوعظ والتخويف بالله وذكر النصوص من الكتاب والسنة.

٤. التدرج في الأسلوب بدءاً بالأخف.

ثم تختلف الحلول التفصيلية باختلاف نوع المنكر.

الصبر

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(١). إذا كان الله معك من ترجو
وممن تخاف وبمن تستعين.

ولأهمية الصبر ورد ذكره في القرآن (٩٢) مرة.

والصبر من معالم العظمة والكمال، ومن دلائل هيمنة النفس على ما
حولها، ولذلك كان (الصبور) من أسماء الله الحسنى؛ فهو سبحانه
وتعالى يتمهل ولا يتعجل، فتجد العبد الضعيف يقترب الذنوب ويهمل
بعض الواجبات المكلفة عليه وربنا الكريم الرحيم، لا يستعجل عليه
العذاب وما مر طاغية مثل فرعون حيث قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾^(٢). ومع
ذلك أرسل الله عز وجل له موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وأخيه قال تعالى: ﴿أَذْهَبَا
إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾^(٣) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ^(٤)﴾^(٣).

*** وللصبر أنواع ثلاثة:**

*** صبر على طاعة الله عز وجل.**

*** صبر عن معصية الله عز وجل.**

*** صبر على أقدار الله المؤلمة.**

وإذا علم المسلم أن هذه الدنيا إنما هي أيام وساعات، وليست بدار
قرار تخلّق بخلق الحلم والصبر والمصابرة على الطاعات واجتناب

(١) البقرة، الآية (١٥٣).

(٢) النازعات، الآية (٢٤).

(٣) طه، الآية (٤٣، ٤٤).

المحرمات؛ وأنه خلق لغاية ألا وهي عبادة الله عز وجل قال تعالى:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(١).

* وإليك بعض النماذج للذين صبروا ونالوا الأجر العظيم وفازوا بجنات النعيم.

إبراهيم عليه السلام، لما صبر على دعوة قومه وألقوه في النار قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ خَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٢).

وموسى عليه السلام، قال لقومه: ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٣).

نبينا محمد ﷺ، لما أُوذي ونال من الأذى في سبيل الدعوة إلى الله، وصبر على ذلك رفع الله من شأنه. قال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۖ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۚ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾^(٤).

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾^(٥).

أيوب عليه السلام، لما مرض وصبر أثنى الله عز وجل عليه بقوله تعالى: ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾^(٦).

يوسف عليه السلام، لما صبر على دخول السجن قال تعالى: ﴿رَبِّ قَدْ

(١) الذاريات، الآية (٥٦).

(٢) النحل، الآية (١٢٠).

(٣) الأعراف، الآية (١٢٨).

(٤) الكوثر، الآية (١-٣).

(٥) الأحزاب، الآية (٢١).

(٦) ص، الآية (٤٤).

ءَاتَيْنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيَّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿١﴾.

مؤمنو آل فرعون، لما أسلموا وباشرت قلوبهم للإيمان هددهم، وتوعدهم فرعون بالقتل والتعذيب وصبروا على ذلك قال تعالى: ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ (٢).

صبر المرأة التي تصرع، عن عطاء بن أبي رباح قال: "قال لي بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ألا أريك امرأة من أهل الجنة. قلت: بلى. قال: هذه المرأة السوداء أتت النبي ﷺ فقالت: إني أصرع وإني أتكشف فادع الله لي. قال: «إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك». فقالت: أصبر. فقالت: إني أتكشف، فادع الله لي أن لا أتكشف، فدع لها" (٣).

ومن الأئمة والعلماء: الإمام أحمد - رحمه الله تعالى - لما صبر في زمن المحنة نال الرفعة، وكذلك شيخ الإسلام ابن تيمية، والبخاري، والشافعي وغيرهم كثير من العلماء والصالحين.

- والصبر ضروري للمرء المسلم في شؤون حياته سواء في طلب الرزق أو رعاية الأولاد والقيام على شؤونهم؛ وعلى جميع الناس باختلافهم.

(١) يوسف، الآية (١٠١).

(٢) طه، الآية (٧٢).

(٣) رواه البخاري ومسلم.

توجيهات للآباء والأمهات

قال بعض السلف: "من أدب ولده في الصغر حمده في الكبر، وأعظم مربٍ في الإسلام نبينا محمد ﷺ كيف كان يتعامل مع الأطفال؟. وتجد كثيراً من الناس أهمل تربية الأبناء إما للخادمة أو للأجهزة الإلكترونية، وعطل سلاح الدعاء، واللجوء إلى الله عز وجل بأن يصلح أولادنا ويجعلهم قرة عين لنا أنه سميع قريب.

* ومن التوجيهات ما يلي:

١. تعليم الأطفال أذكار الصباح والمساء، وخاصة عند غروب الشمس والنوم. قال ﷺ: «إذا كان جنح الليل أو أمسيتم فكفوا صبيانكم، فإن الشياطين تنتشر حينئذ، فإذا ذهب ساعة من الليل فخلوهم»^(١).
٢. عدم ضرب الأطفال وخاصة في دورات المياه؛ لأنها مأوى الشياطين مما قد يؤدي بذلك إلى أذية الأطفال كالتشنج أو الإغماء.
٣. تعليم الأطفال من عمر السابعة فما فوق، حب التوحيد والسنة والصلاة ودعاء الخلاء والخروج من المنزل.
٤. تعويدهم بالبسملة عند كل فعل.
٥. الحرص على نظافة الأطفال ظاهراً وباطناً.
٦. عدم ترك الأطفال يكون لو حدهم أو في مكان مظلم.

(١) رواه البخاري ومسلم.

٧. تعليم الأطفال الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم عند الغضب.

٨. شراء سجادة صغيرة للطفل وتعويده على الصلاة.

٩. الدعاء لهم ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ
وَجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾^(١). قوله تعالى: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ
ذُرِّيَّتِي﴾^(٢).



(١) الفرقان، الآية (٧٤).

(٢) إبراهيم، الآية (٤٠).

توجيهات للأبناء في التعامل مع كبار السن

إن الجهل بحقوق المسنين وأساليب التعامل معهم يثمر صراع الأجيال المتمثل في نظرة الجيل الجديد نظرة سلبية للأجيال السابقة التي يمثلها المسنون بمختلف طبقاتهم ، ووصفهم بالرجعية والتخلف، وفي المقابل ينظر الشيوخ للشباب نظرة سلبية أيضاً فيصفونهم بالطيش وقلة الخبرة والإهمال والعقوق؛ وربما أودع بعض الأبناء آباءهم في دور العجزة ورعاية المسنين.

*** وهذه بعض المقترحات للعناية بكبار السن المقعدين في البيوت:**

- ١- تحمل المشاق وما يصدر من رفع للصوت وغيره.
- ٢- عدم إظهار الشئامة والتذمر من خدمتهما؛ لأن الجزءاء من جنس العمل.
- ٣- الذهاب بكبير السن خارج البيت للتفسيح والزيارات إن كان قادراً على الحركة والمشي.
- ٤- حث كبير السن على الإكثار من الذكر والتسبيح والتهليل وقول (لا حول ولا قوة إلا بالله).
- ٥- الحديث عن حياتهما في الماضي.
- ٦- اجتماع العائلة حوله للاستئناس به.
- ٧- إحضار الأطفال الصغار للسلام على كبير السن إن كان لا يزعه ذلك.

توجيهات للأبناء في التعامل مع كبار السن

٨- (تهادوا تحابوا) إعطاء كبير السن نقوداً يوزعها على الأطفال إن كان يحسن ذلك.

٩- في أيام المناسبات كالأعياد وغيرها شراء ملابس جديدة لكي يظهر بالمظهر الحسن ويشارك الناس في فرحتهم وبهجته وإدخال السرور عليه.

١٠- تخصيص مكان مناسب لكبير السن والاعتناء بنظافته وغذائه.

١١- توجيه كبير السن بالطريقة المثلى؛ لأنه قد يتصور بعض الاعتقادات الخاطئة بمن حوله، فتسيطر عليه تلك المخاوف فيميل إلى الوحدة واعتزال الناس نظراً لاعتقاده الخاطئ.

١٢- معرفة المشكلات التي يعانيها كبير السن، وإذا كانت صحية أو اجتماعية أو أسرية يتم علاجها وإيجاد الحلول المناسبة لهذه المشكلة.

١٣- الاحترام والتقدير أثناء الجلوس معهم.



الضعفة من المسلمين

قال رسول الله ﷺ: «هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم»^(١).

قال ابن بطال - رحمه الله تعالى -: "أن الضعفاء أشد إخلاصاً في الدعاء وأكثر خشوعاً في العبادة؛ لخلاء قلوبهم عن التعلق بزخرف الدنيا" أ. هـ.

ويجب العطف والشفقة على الأرمال والفقراء والمساكين، وكذلك الصم والبكم والمعاقين والأيتام والرعاة في البراري.

قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»^(٢).

ففي الحديث الحض على تعاون المسلمين وملاطفة بعضهم مع بعض.

* بعض المقترحات لتقديم المساعدة والعون للضعفة وغيرهم:

١ - الأرملة هي التي لا زوج لها مساعدتها إما بالبحث لها عن زوج إن كانت ترغب في ذلك، أو مساعدتها بالمال والسكن.

٢ - اليتيم هو من توفي والده دون البلوغ يوفر له المال ليقوم به حياته، واختيار الأصدقاء المناسبين له.

٣ - دعوة الفقراء والمساكين لمناسبات الافراح في العيد وإهدائهم بعض المال أو شراء اغراض العيد لهم؛ وذلك لإشعارهم بتكاتف المسلمين بعضهم مع بعض.

(١) رواه البخاري.

(٢) متفق عليه.

الجار

أوصى الإسلام بالعناية بالجار وتعظيم حقه والاعتناء به، فقد ورد عن النبي ﷺ قال: «ما زال جبريل يوصيني بالجار، حتى ظننت أنه سيورثه»^(١).

وقد قال ﷺ لأبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يا أبا ذر إذا طبخت مرقة، فأكثر ماءها، وتعاهد جيرانك»^(٢).

في الحديث الحث على تعاهد الجيران وإطعامهم ولو بشيء قليل؛ لما سترتب على ذلك من إظهار المحبة والأخوة في الله، وهذا نوعاً من الإحسان.

ومن الأمور التي يجب التنبيه لها عدم إيذاء الجار بالقول والفعل. فقد قال رسول الله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يؤذ جاره»^(٣).

*** وهذه بعض التوجيهات والتنبيهات للجيران:**

١. التعرف على الجار وزيارته.
٢. الإحسان إلى الجار، وذلك إما بطبخ بعض الأطعمة والذهاب بها إليه إذا اعتذر عن الحضور، فإن ذلك مما يزرع المحبة والألفة.

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه مسلم.

(٣) متفق عليه.

٣. وفي المناسبات، كالعيدين ونجاح الأبناء، وذلك بإرسال بعض الحلوى والأكلات الخفيفة.

٤ - تفقد أحوال الجيران، وذلك بمساعدته بالمال إن كانوا فقراء.

٥ - حث الجار على تأدية صلاة الجماعة في المسجد، إن كان لا يشهد الجماعة.

٦ - الصبر والعفو عن الزلات التي تصدر من الجار.



وسائل تهدئة الغضب

خطوات لتجنب الغضب:

١ - عدم الغضب: جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: أوصني. فقال: «لا تغضب»^(١).

٢ - خفض الصوت: قال تعالى في وصية لقمان لأبنه: ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْظُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾^(٢)؛ لأن في خفض الصوت تعبير عن التعقل والرزانة التي يتسم بها العقلاء والحكماء.

٣ - الرفق في جميع الأمور: لقوله ﷺ: «ما كان الرفق في شيء إلا زانه، وما نزع من شيء إلا شانه»^(٣).

٤ - تحمل أخطاء الآخرين: لا بد من الصبر على تحمل الآخرين بالحلم والحكمة والتماس الأعذار لهم. قال بعض السلف -رحمهم الله-: "لعل له عذراً لا أعرفه".

٥ - معرفة مفاتيح الغضب: عندما يعرف الإنسان المفاتيح يحاول أن يخفف من الغضب.

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) لقمان، الآية (١٩).

(٣) رواه مسلم.

* مفاتيح الغضب وطرق تخفيفها:

م	مفتاح غضبي	عبارة تخفف من الغضب
١	من يقلل من جهدك وانجازاتك	أنا واثق من نفسي
٢	عدم الاحترام والتقدير من الناس	أنا إنسان رائع ومبدع
٣	رفع الصوت والصراخ	أنها من الصفات المذمومة ﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾
٤	الدعاء على الأولاد	الدعاء لهم بالهداية والصلاح
٥	عدم الاهتمام بما أقول مثل: أن تعزم على إقامة مشروع أو عمل، ويسخر منك الآخرون ويحبطونك	سأجعل كلامي فعلاً واقعاً

* طرق علاج الغضب بعد وقوعه:

١ - التعوذ بالله من الشيطان الرجيم قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْزَعُكَ مِنْ

الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(١).

استب رجلان عند النبي ﷺ فجعل أحدهما يغضب ويحمر وجهه، وتنتفخ أوداجه، فنظر إليه النبي ﷺ فقال: «إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب ذا عنه: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم... الحديث»^(٢).

(١) الأعراف، الآية (٢٠٠).

(٢) رواه البخاري ومسلم.

قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: "يدل على أن الشيطان له تأثير في تهيج الغضب، وزيادته حتى يحمله على البطش بالمغضوب عليه".

٢- تغيير الحالة التي هو عليها لقوله ﷺ: «إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضجع»^(١).

٣- الوضوء والاغتسال لقوله ﷺ: «إن الغضب من الشيطان وإن الشيطان خلق من النار، وإنما تطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ»^(٢).

٤- الصمت. قال الشافعي رَحِمَهُ اللهُ:

إذا نطق السفیه فلا تجبه فخير من إجابته السكوت

فإن كلمته فرجت عنه وإن خلите كمدأ يموت

٥- تركية النفس بفعل الطاعات واجتناب المحرمات.

قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾^(٣).

٦- العلم بمساوئ الغضب ومنها:

أ- فضل كظم الغيظ والعفو.

ب- الخوف من عقاب الله نتيجة الغضب وما يصدر منه.

ج- الحذر من عاقبة العداوة.

د- التفكير في قبح صورة الغاضب (عندما يرى صورة وجهه في

المرآة).

(١) رواه أبو داود.

(٢) أخرجه ابن أبي شبة.

(٣) الشمس، الآية (٩).

- هـ - تغيير السبب المؤدي إلى الغضب.
- و - التسليم بمراد الله وقضائه وقدره.
- ز - حفظ آيات أو أحاديث أو آثار تأمر بالعفو والصفح والحلم.
- ح - راجع حالتك الصحية، وابتعد عن المأكولات صعبة الهضم، وخذ كفايتك من النوم وغيرها بحيث لا تؤثر على السلوك.
- ٧ - التماس الأعذار للآخرين وعدم الاستعجال بالغضب، وكما قيل: "الغائب عذره معه".
- ٨ - فهم نفسيات الأشخاص مثلاً كبير السن والمريض وغيرها من الأشخاص؛ لكي تصفو الحياة بالحب والتفاهم.
- ٩ - الاقتداء بالنبي ﷺ بالتخلق بخلق الحلم والأناة والعفو والصفح.

* وهذه بعض النماذج:

- الرجل الذي بال في المسجد زجروه الصحابة ونهاهم النبي ﷺ عن ذلك فقال: «اهريقوا عليه ذنباً من الماء»^(١).
- الرجل الذي كان يشرب الخمر وجاءوا به إلى النبي ﷺ، فلعنه أحد الصحابة. قال: «لا تلعنه، فإنه يحب الله ورسوله».
- الأعرابي الذي جذب طرف رداء النبي ﷺ. قال: أعطني يا رسول الله من مال الله بعض الصحابة أراد ضربه، ونهاهم عن ذلك النبي ﷺ.

- عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عندما كسرت الصحيفة التقطها رسول الله ﷺ، وأبدلها بآنية جديدة.

- دعوته ﷺ لأهل الطائف حيث عفى عنهم بعد أن آذوه، وقال: «لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله عز وجل».

- الرجل الذي قال للنبي ﷺ: أعدل، فقال الرسول ﷺ: «ويحك إن لم أعدل فمن يعدل»، ثم قال: «رحم الله أخي موسى قد أؤذي بأكثر من ذلك فصبر».

- ومن يطالع سيرته ﷺ يجد المواقف الكثيرة في عفوه وصفحه عن الناس، ولم يكن ينتقم لنفسه إنما كان يغضب إذا انتهكت محارم الله عز وجل.



الرقية الشرعية وضوابطها

قال عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة".

وقال ابن القيم -رحمه الله تعالى-: "القلوب إذا اشتغلت بالبدع أعرضت عن السنن".

* تنبيهات للراقي:

١- على الراقي الحرص على التمسك بالكتاب والسنة، وترك ما سوى ذلك من البدع.

٢- عدم سؤال الراقي للمريض من تتهم ومن تتخيل على بالك؛ لأن ذلك ليس له أصل.

٣- يستحسن من الراقي بعد الانتهاء من رقية المريض أن يقول له: شفاك الله، وأنت مأجور، واصبر واحتسب والفرج من الله، وعليك بالصدقة والدعاء بالشفاء؛ لأن ذلك سبب لانشرار صدر المريض.

٤- عدم الخلوة بالمرأة أو لمسها؛ لأن في هذا فتنة وما أدى إلى حرام فهو محرم.

٥- بعض الرقاة يحدد آيات معينة للإنجاب وتأخر الزواج، والأمراض الجلدية والقولون والرزق ونحو ذلك ولا دليل عليه من الكتاب والسنة، وخير الهدي هدي محمد ﷺ.

٦- لا بد أن الراقي يكون أميناً للأسرار المرضي.

الرقية الشرعية وضوابطها

٧- بعض الرقاة يحدد قراءة مطولة أو متوسطة أو مركزة، وهذا لا أصل له.

* بعض التنبيهات والتوجيهات العامة في الرقية:

١. البعد عن رش البيت بالماء وغيره والاعتقاد بما ورد عن النبي ﷺ في الرقية.

٢. الرقية بواسطة جهاز التسجيل أو الهاتف لا ينبغي فعله، بل الرقية تكون مباشرة من الراقي للمريض.

٣. إذا رأى المؤمن من نفسه أو غيره ما يعجبه فليقل (ما شاء الله تبارك الله) لأن العين حق.

٤. الحرص على المحافظة على الأذكار الشرعية، وتلاوة القرآن.



الاستقرار النفسي

كثير من الناس يظن أن الأمن النفسي هو تأمين وتوفير المواد الاستهلاكية من مأكّل ومشرب وتخطيط للمستقبل، ولا يهدأ له بال ولا استقرار إلا بالتفكير لذلك، وهذا أمر لا بأس به لكن يترك ما هو أهم من ذلك ألا وهو راحة البال الحقيقية وطمأنينة النفس وهو كثرة ذكر الله عز وجل وشكره. قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾^(١). ومعرفة أسمائه وصفاته سبحانه وتعالى.

كيف كانت حالة السابقين الأولين؟ لقد كانوا ليس لديهم الأطمعة المتنوعة والأجهزة المتطورة والتقنية الحديثة، لكنهم عندهم استقرار وأمن نفسي، وتعلق بالله عز وجل.

يقول أحدهم: "لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من السعادة لجالدونا فيه السيوف".

إذاً (الأمن النفسي) عدم الخوف على المستقبل، والأمن والمستقبل. قال رسول الله ﷺ: «من أصبح منكم آمناً في سربه معافى في جسده عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذاقيرها»^(٢).

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾^(٣).

(١) الرعد، الآية (٢٨).

(٢) رواه الترمذي.

(٣) الأنعام، الآية (٨٢).

ترويض النفس عند المحن

قال الله تعالى: ﴿أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا أَمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾^(١). أي: لا يبتلون في أموالهم وأنفسهم، كلا لنختبرهم ليتبين المخلص من المنافق والصادق من الكاذب.

عن صهيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سرّاء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضرّاء صبر فكان خيراً له»^(٢). من أصيب بمصيبة، فليتذكر أن غيره سلك هذا المسلك، وفي كل وادٍ بني سعد، فالدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر.

إخواني: هذه الحياة الدنيا نعيمها زائل، إن أضحكك أبكتك فهذا يشتكي علة وهذا فقر... الخ من المصائب والآلام.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَآخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضْحَكُونَ﴾^(٣) فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: "إذا ابتلى الله عبده بشيء من أنواع البلاء، فإن رده إلى ربه وصار سبباً لصلاح دينه، فهو علامة سعادته وإرادة الخير به، ولا بد أن تطلع الشدة وقد عوّض عنها أجل عوض، وإن لم يرده ذلك

(١) العنكبوت، الآية (٢)

(٢) رواه مسلم.

(٣) الأنعام، الآية (٤٢، ٤٣).

ترويض النفس عند المحن

البلاء إليه بل شرد قلبه عنه وردّه إلى الخلق وأنساه ذكر ربه فهو علامة الشقاء وإذا ألق عن البلاء رده إلى طبيعته وسلطان شهوته، فبليه هذا وبال، وبليّة الأول رحمه وتكميل والله الموفق". أهـ.

فقد ابتلي النبي ﷺ بأنواع الابتلاءات، فقد توفي والديه وهو صغير وعاش يتيماً وكفله جده عبد المطلب، ثم عمه أبو طالب وطرده من أهله وعشيرته، ورمي بالحجارة عند دعوته لأهل الطائف حتى سال الدم منه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، قيل إنه ساحر وكاهن وشاعر، رموه بالجنون ووضع سلى الجزور على ظهره وهو ساجد بين الركنين عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وقد هجر أزواجه شهراً كاملاً ﷺ.

المؤمن الصادق لا بد أن يبتلى ليعرف صدقه من كذبه؛ لأن سلعة الله غالية عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قال رسول الله ﷺ: «حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات»^(١).

قد يبتلى الإنسان بجار سوء أو بقريب أو زميل له، وهل يقوم بالدعوة إليه ويرى ذلك منحة من الله عز وجل ويناصحه ويكون ذلك في ميزان حسناته يهون، وآخر قد يبتلى في زوجة تُعكر عليه صفو حياته، فإذا كانت امرأةً صالحة كل شيء يهوى من أمور الدنيا، عن عبدالله بن عمرو، أن رسول الله ﷺ قال: «الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة»^(٢).

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: "قوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، الدنيا متاع". أي: شيء يتمتع به حيناً ما. كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾^(١).

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: "فإذا طال بالعبد البلاء واستمرت به الآلام وتوالت عليه المصائب، فلا يسيء الظن بربه سبحانه وتعالى ويعتقد أن الله أراد به سوءاً وأنه لا يريد معافاته، فإن ذلك جرم عظيم وخطر جسيم، فالله الحكيم العادل بل هو الرحيم المتفضل، وما قدره الله عليك هو عين العدل، كما في الدعاء الوارد عن النبي ﷺ: «ماضي في حكمك، عدل في قضاءك»^(٢) أ. هـ.

فربما صلحت الأجساد بالعلل، والمسلم في هذه الدنيا يجري عليه ما جرى لما قبله، وهو في ذلك مأجور إن صبر واحتسب.

قال تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(٣). فلتكن بذلك المعرفة الصادقة مع الله عز وجل فقد قال أحدهم: "مساكين أهل الدنيا خرجوا منها وما ذاقوا ألد ما فيها. قيل له وما هو؟ قال: معرفة ومحبة الله عز وجل".

أخي في الله: إذا داهمتك المصائب ونزل بك الهم والحزن فاهلج بذكره وحاسب نفسك على التقصير والإهمال، ولا تنسى دعوة يونس عليه السلام: "لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين".

(١) النساء، الآية (٧٧)

(٢) رواه ابن حبان.

(٣) التوبة، الآية (٥١).

فقد قال بعضهم: لولا البلاء لخرجنا من الدنيا مفاليس.
وقال عمر بن عبدالعزيز رَحِمَهُ اللهُ: "وليس لي موضع سرور إلا في مواضع القدر".

* ومن فوائد الابتلاء بالمصائب والمحن ما يلي^(١):

- ١- معرفة عزِّ الربوبية وقهرها.
- ٢- معرفة ذل العبودية وكسرها.
- ٣- الإخلاص لله تعالى.
- ٤- الإنابة إلى الله والإقبال عليه.
- ٥- التضرع والدعاء.
- ٦- الحلم ممن صدرت منه.
- ٧- العفو عن جانيها.
- ٨- الصبر عليها.
- ٩- الفرج لها لأجل فوائدها.
- ١٠- الشكر عليها.
- ١١- تمحيصها للذنوب والخطايا.
- ١٢- رحمة أهل البلاء ومساعدتهم على بلوهم.
- ١٣- معرفة قدر نعمة العافية والشكر عليها.
- ١٤- ما أعده على هذه المصائب من ثواب أخروي.
- ١٥- ما في طيها من الفوائد الخفية.

(١) محاسن التأويل (٢٩٣-٢/٣٢٩) عز الدين محمد بن عبد السلام.

١٦ - أنها تمنع من الأشر والبطر والفخر والخيلاء، والتكبر والتجبر.

١٧ - الرضا الموجب لرضوان الله عز وجل.

إخواني: من أصيب بمصيبة فليصبر لها وليتجلد ويحتسب، فالذي أصابك وابتلاك هو أرحم الراحمين، أرحم بك من والدتك حكيمٌ في تقديره للأمر، عليم بكل شيء سبحانه وتعالى.

ومن علامات الإيمان: أن تؤمن بالقدر خيره وشره، وفي تغيير الأحوال وتقلب الليل والنهار عبرٌ لأولي الأبصار. قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١).

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: كنت رديف النبي ﷺ فقال: «يا غلام أو يا غليم ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن». فقلت "بلى". فقال: "أحفظ الله يحفظك، أحفظ الله تجده أمامك، تعرف إليه في الرخاء، يعرفك في الشدة، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، قد جف القلم بما هو كائن، فلو أن الخلق كلهم جميعاً أرادوا أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدرُوا عليه، وإن أرادوا أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدرُوا عليه، واعلم أن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً، وأن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً»^(٢).



(١) البقرة، الآية (٢١٦).

(٢) رواه أحمد.

ترويح النفس

النفس تمل وتكل وتتعب من كثرة الأعمال، ولا بد للإنسان أن يجعل له وقتاً يُروِّح فيه عن النفس باللهو المباح مع الأصحاب والأولاد.

وقد تبسم سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ. قال تعالى: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَتِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾^(١).

أخوة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ قالوا لأبيهم: قال تعالى: ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(٢).

وقد أثبت التجارب أن التبسم والضحك المعتدل يُنشط الحركة الدموية عند الإنسان، بخلاف الهم والحزن والتوازن مطلوب في جميع الأمور، فقد قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «تبسمك في وجه أخيك صدقة»^(٣)، والأمثلة على ذلك كثيرة.

*** ومن ضحك ومزاح النبي ﷺ ما يلي:**

١ - عن عبدالله بن الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: "ما رأيت أحداً أكثر تبسماً من رسول الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ"^(٤).

٢ - عن جرير بن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: "ما حجبني رسول الله ﷺ منذ أسلمت ولا رآني إلا ضحك"^(٥).

(١) النمل، الآية (١٩).

(٢) يوسف، الآية (١٢).

(٣) رواه الترمذي.

(٤) أخرجه الإمام أحمد، والترمذي.

(٥) رواه البخاري، ومسلم.

ترويح النفس

٣- عن علي بن ربيعة قال: شهدت علياً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أتى بدابة ليركبها، فلما وضع رجله في الركاب. قال: بسم الله. فلما استوى على ظهرها قال: الحمد لله، ثم قال: سبحان الذي سخر لنا هذا، وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون، ثم قال: الحمد لله ثلاثاً والله أكبر ثلاثاً، سبحانك إني ظلمت نفسي فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، ثم ضحك. فقلت له: من أي شيء ضحكت يا أمير المؤمنين؟ قال رأيت رسول الله ﷺ صنع كما صنعت، ثم ضحك. فقلت: من أي شيء ضحكت يا رسول الله؟ قال: «إن ربك ليعجب من عبده إذا قال: رب اغفر لي ذنوبي، يعلم أنه لا يغفر الذنوب أحد غيره»^(١).

* أما صفة مزحه ﷺ ما يلي:

وكان النبي ﷺ لا يمزح إلا صادقاً.

١. عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي ﷺ قال له: «يا ذا الأذنين»^(٢).

قال الترمذي: "فالحديث فيه بيان تواضع النبي ﷺ مع خادمة أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فالمزاح انبساط النفس على الغير وُدّاً لا تجريحاً".

وإني أقدم هذا الحديث إلى كل من يتعالى على خادمه ليتعلم من سيد الخلق كيف يكون التواضع؟ لأن المباشطة والملاطفة والرحمة لا تنزل المرء من منزلته إنما ترفعه أبداً، فالراحمون يرحمهم الله عز وجل.

(١) رواه أبو داود، والترمذي.

(٢) رواه أبو داود، والترمذي.

٢. عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: إن كان رسول الله ﷺ ليخالطنا حتى يقول لأخ لي صغير: «يا أبا عمير ما فعل النغير»^(١).

قال أبو عيسى الترمذي رَحِمَهُ اللَّهُ وَفَقَهُ هَذَا الْحَدِيثَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَمَازِحُ، وَفِيهِ أَنَّهُ كُنِيَ غُلَامًا صَغِيرًا، فَقَالَ لَهُ: "يَا أَبَا عَمِير" وَفِيهِ أَنَّهُ لَا بَأْسَ أَنْ يُعْطَى الصَّبِيُّ الطَّيْرَ لِيَلْعَبَ بِهِ، وَإِنَّمَا قَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: "يَا أَبَا عَمِير مَا فَعَلَ النِّغِيرُ"؛ لِأَنَّهُ كَانَ لَهُ نَغِيرٌ (طَيْرٌ صَغِيرٌ) يَلْعَبُ بِهِ فَمَاتَ، فَحَزَنَ الْغُلَامُ، فَمَازَحَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: "يَا أَبَا عَمِير مَا فَعَلَ النِّغِيرُ؟".

٣. عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قالوا يا رسول الله، إنك تُدَاعِبُنَا! قال: «إِنِّي لَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا»^(٢).

٤. عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَجُلًا اسْتَحْمَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ إِنِّي حَامِلُكَ عَلَى وَلَدٍ نَاقَةٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا أَصْنَعُ بَوْلِدِ النَّاقَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَهَلْ تَلِدُ الْإِبِلُ إِلَّا النَّوْقَ؟»^(٣).

٥. عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَتَى يَوْمًا رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ، فَاحْتَضَنَهُ مِنْ خَلْفِهِ وَهُوَ لَا يَبْصُرُهُ. فَقَالَ: «أُرْسِلْنِي مِنْ هَذَا؟» فَالْتَفَتَ، فَعَرَفَ النَّبِيَّ ﷺ فَجَعَلَ لَا يَأْلُو مَا أَلْزَقَ ظَهْرَهُ بِصَدْرِ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ عَرَفَهُ، وَجَعَلَ النَّبِيُّ يَقُولُ: «مَنْ يَشْتَرِي الْعَبْدَ؟» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِذَا وَاللَّهِ تَجَدَّنِي كَاسِدًا. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَكِنْ عِنْدَ اللَّهِ لَسْتُ بِكَاسِدٍ»، أَوْ قَالَ: «أَنْتَ عِنْدَ اللَّهِ غَالٌ»^(٤).

(١) رواه البخاري، ومسلم.

(٢) رواه الترمذي.

(٣) رواه أبو داود، والترمذي.

(٤) أخرجه الإمام أحمد والترمذي في الشئائل.

* وللمزاح آداب منها:

١- النية الصالحة: فينوي بمزاحه قطع الملل والترويح المباح عن النفس، حتى تنشط من جديد.

٢- عدم الإكثار من المزاح، ومن كثر مزاحه نقصت مروءته وضاعت هيئته.

٣- عدم المزاح مع من لا يقبلونه كالشيخ الكبير والعالم، وغيرهم ممن لا يقبل المزاح.

٤- عدم المزاح في مواطن الجد.

٥- اجتناب ما حرم الله تعالى أثناء المزاح، ومن ذلك:

أ- ترويع المسلم على وجه المزاح قال ﷺ: «لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً»^(١).

ب- الكذب في المزاح قال ﷺ: «أنا زعيم بيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محققاً، وبيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً، وبيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه»^(٢).

ج- القدح في طائفة معينة من الناس: كالذي يمزح فيرضي طائفة معينة، أو أهل بلد معين، أو أصحاب حرفة معينة بما يعيبهم أو بعض الناس يمزح مع صاحبه فيسبه، أو يقذفه أو يرميه بالفاحشة والعياذ بالله من ذلك.

(١) رواه أبو داود.

(٢) رواه أبو داود.

د- أن يكون أكثر المزح مع من يحتاجونه كالصغار والنساء وغيرهم.
وصنف من الناس تجده دائماً مقطب الجبين وغائر العينين لا يبتسم،
ولا يتحدث لأحد كأن هموم الدنيا على رأسه. وهؤلاء الصنف يرجعون
إلى عدة أسباب منها:

١. عدم الإمام بأحوال سيرة النبي ﷺ.
٢. نشأوا على العنف والقسوة.
٣. أن الإسلام دين الوسطية في جميع شؤونه.



الأدب

الأدب سمي أدباً؛ لأنه يؤدب الناس إلى المحامد وينهاهم عن المقابح^(١).

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: "وأدب المرء عنوان سعادته وفلاحه، وقلة أدبه عنوان شقاوته وبواره. فما استجلب خيري الدنيا والآخرة بمثل الأدب، ولا استجلب حرمانها بمثل قلة الأدب. فانظر إلى الأدب مع الوالدين كيف نجى صاحبه من حبس الغار حين أطبقت عليهم الصخرة؟! وتأمل أحوال كل شقي ومفترٍ ومدبرٍ كيف تجد قلة الأدب هي التي ساقته إلى الحرمان"^(٢) بتصرف.

* الأدب مع الله عز وجل:

١. عدم الإشراف بالله عز وجل.
٢. إخلاص العبادة لله عز وجل.
٣. مراقبة الله عز وجل في السر والعلانية.
٤. تعظيم شعائر الله عز وجل.
٥. شكر الله عز وجل على نعمه التي لا تعد ولا تحصى. قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ۗ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾^(٣).
٦. الرضا بقضاء الله وقدره.

(١) لسان العرب، لابن منظور.

(٢) كتاب مدارج السالكين (٤٠٨)، (٤٠٦/٢).

(٣) النحل، الآية (٥٣).

٧. تجنب كثرة الحلف بالله عز وجل. قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا عَزْمَ عِرْضَةٍ لِّأَيْمَنِكُمْ أَن تَبْرُوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (١).

٨. عند تكبيرة الإحرام، استشعار عظمه الله عز وجل بقولك (الله أكبر).

٩. تجنب الألفاظ المنهي عنها: كقول: (الله يظلمك، وإذا أصيب أحدهم بمرض أو بلاء قيل: ما يستاهل فلان) (٢).

* الأدب مع الرسول ﷺ:

- ١ - طاعته فيما أمر واجتناب ما نهى عنه وزجر.
- ٢ - عدم كتابه (ص) بدلاً من - صلى الله عليه وسلم -.
- ٣ - الصلاة عليه كما جاء في الحديث، عن حسين بن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «البخيل الذي من ذكرت عنده فلم يصل علي» (٣).

٤ - عدم سب أصحابه - رضوان الله عليهم -.

* الأدب مع القرآن الكريم:

١. عدم وضعه في مكان غير نظيف، وغير لائق به.
٢. تجنب مد الرجلين أمامه، أو وضع شيء فوقه.
٣. عند سجود التلاوة لا يوضع على الأرض.
٤. الإنصات عند سماعه.

(١) البقرة، الآية (٢٢٤).

(٢) معجم المناهي اللفظية/ بكر أبو زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) رواه الترمذي قال حديث حسن صحيح غريب.

٥. تجنب تفسير معناه من غير علم. قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾^(١).

٦. تجنب الكتابة فيه.

٧. عدم الدخول به للخلاء.

٨. تطهير الفم بالسواك عند تلاوته.

* الأدب مع الوالدين:

١- عدم رفع الصوت عليهما.

٢- حبهما والإشفاق عليهما، والإحسان إليهما.

٣- لا تناديهما باسميهما للحديث، أن أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَبْصَرَ رَجُلَيْنِ، فَقَالَ لِأَحَدِهِمَا: مَا هَذَا مِنْكَ؟ فَقَالَ: أَبِي. فَقَالَ: "لَا تَسْمِهِ بِاسْمِهِ، وَلَا تَمْشِ أَمَامَهُ وَلَا تَجْلِسَ قَبْلَهُ"^(٢).

٤- عدم تفضيل الزوجة عليهما.

٥- الدعاء لهما في حياتهما، وبعد مماتهما.

٦- الإحسان إلى أصدقائهما بعد موتهما.

* آداب المسجد:

١. التزام السكينة أثناء المشي.

٢. تقديم الرجل اليمنى عند الدخول.

٣. السواك عند أداء الصلاة.

(١) الإسراء، الآية (٣٦).

(٢) رواه البخاري الأدب المفرد.

٤. تجنب رفع الصوت.
٥. إغلاق الجوال أو وضعه على الصامت.
٦. التطيب ولبس أجمل الثياب عند الذهاب للمسجد (وخاصة يوم الجمعة).
٧. عدم أكل الثوم والبصل، وما له رائحة كريهة كالدخان وغيره.
٨. عدم الخروج من المسجد بعد الأذان إلا للحاجة.
٩. عدم أنشاد الضالة في المسجد.
١٠. الحرص على نظافته.
١١. عدم اتخاذ المسجد طريقاً للجهة الأخرى.



النظام في حياتنا اليومية

النظام: هو عمل برنامج معين في زمن معين، مثل: نظام العمل ونظام ساعات النوم، والشخص المنظم تجده مطمئن مرتاح البال لا يخشي فوات شيء؛ لأنه عرف أن الحياة مراحل ينتقل فيها من مرحلة إلى أخرى، طفلاً ثم غلاماً ثم شاباً ثم شيخ كبير.

عن داود الطائي - رحمه الله تعالى -: قال إنما الليل والنهار مراحل، ينزلها الناس مرحلة مرحلة، حتى ينتهي بهم ذلك إلى آخر سفرهم، فإن استطعت أن تقدم في كل مرحلة زاداً لما بين يديها فافعل، فإن انقطاع السفر عن قريب ما هو، والأمر أعجل من ذلك.

حتى الكون يسير بنظام معين بقدره الله تعالى. قال تعالى:

﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ
مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيرِ ٣٩ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ
سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ٤٠﴾ (١).

﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ﴾ أي دائماً تجري لمستقر لها قدره الله لها لا تتعدها، ولا تقصر عنه، وليس لها تصرف في نفسها ولا استعصاء على قدره الله تعالى.

﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ﴾ الذي بعزته دبّر هذه المخلوقات العظيمة،
بأكمل تدبير وأحسن نظام.

﴿الْعَلِيمِ﴾ الذي بعلمه، جعلها مصالح لعباده؛ ومنافع في دينهم ودنياهم^(١).

السنة اثنا عشر فيها شهر للصيام (شهر رمضان) وعيدان (عيد الفطر وعيد الأضحى) وإخراج نصاب الزكاة لا يخرج إلا بعد مضي سنة، وأداء الحج (شهر ذي الحجة) وكذلك الصلوات الخمس في اليوم والليلة. تسير هذه الأعمال والواجبات وفق نظام معين لا يتقدم عمل عن عمل آخر.

* ومن الأنظمة التي يجب التنبيه عليها هي كما يلي:

١ - تنظيم الأوقات: معظم الناس لا يستغل أوقات فراغه بما يعود عليه بالنفع، تجده يقطع الوقت في أي شيء^(٢).

٢ - تنظيم ساعات النوم: "أن رسول الله ﷺ كان يكره النوم قبل العشاء، والحديث بعدها"^(٣). وقد فشا بين المسلمين داءٌ عضال، ألا وهو السهر الذي سيطر على كثر من الناس.

ومن مضاره: زيادة دقات القلب، التكاثر عن قيام صلاة الفجر أو النوم عنها، احمرار العينين، التضجر والقلق الملازم لمن يعتاد السهر.

٣ - تنظيم وجبات الطعام: قال تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾^(٤).

(١) تفسير السعدي - رحمه الله تعالى -.

(٢) راجع موضوع أهمية الوقت ص (٦١).

(٣) رواه البخاري.

(٤) الأعراف، الآية (٣١).

النظام في حياتنا اليومية

جسم الإنسان بحاجة إلى تنظيم في تناول الوجبات، مثال: "كان النبي ﷺ يفطر قبل أن يصل على رطبات، فإن لم تكن رطبات فتمرات، فإن لم تكن حسا حسوات من الماء" (١).

فالقيام إلى أداء صلاة المغرب في المسجد عقب الفطر بالقليل من الرطب أو التميرات أو الماء أو عصير محلى أو حساء... يستغرق نحو (٥ - ١٠) دقائق، وهي فترة زمنية لا بأس بها ومعقولة تكفى للمعدة والأمعاء أن تبدأ خلالها في امتصاص المادة السكرية بكمية تكفى لرفع مستوى سكر الجلوكوز بالدم إلى نسبة تذهب بالعديد من أغراض الفتور والهبوط في الأداء الحركي والذهني وبخاصة أن معدل الامتصاص سيكون على أعلى مستوى لفراغ المعدة والأمعاء.

ونفس الشيء سيكون بالنسبة للماء الذي يشربه الصائم إذا كانت كميته معقولة، وغير شديد السخونة أو التثليج، فيسهل امتصاصه عبر الغشاء المخاطي للمعدة والأمعاء، بل تجويف الفم والبلعوم والمريء فيحدث إطفاء لمعدل الإحساس بالظمأ، وأيضا ارتواء وتشبع نسبي للأنسجة التي فقدته طوال نهار الصيام.

فلا بد من توازن كميات الطعام والشراب بحيث ترتاح أجهزة التنفس والقلب والهضم؛ لأن هذا هو النهج الصحي المفيد والسليم.

قال تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (٢).

(١) رواه أبو داود، والترمذي.

(٢) الذاريات، الآية (٢١).

الأخلاق الحميدة

قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(١). قال رسول الله ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»^(٢).

الأخلاق الحسنة عنوان للشخص المميز الذي تحبه وتألفه القلوب، لأنه لا يحمل في قلبه غلاً ولا حِقْداً للمسلمين، أما الجفاء والغلظة ليست من صفات المؤمنين.

قال بعض السلف: "حسن الخلق: ذو قرابة عند الأجانب، وسيئ الخلق أجنبي عند أهله".

وعن أبي عبيدة قال: "كان المهدي يصلي بنا الصلوات في مسجد البصرة فأقيمت الصلاة يوماً، فقال أعرابي: يا أمير المؤمنين ليس لي طهر وقد رغبت في الصلاة خلفك فمر هؤلاء أن ينتظروني، فقال: انتظروه رحمكم الله، ودخل إلى المحراب ووقف إلى أن قيل له قد جاء الرجل فكبر، فعجب الناس من سباحة أخلاقه".

*** ومن تلك الأخلاق الحميدة ما يلي:**

١. الصدق.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾^(٣).

فالإنسان الصدوق تجد الناس تثق به في مشاورتهم له في الأمور

(١) القلم، الآية (٤).

(٢) رواه أحمد.

(٣) التوبة، الآية (١١٩).

الأخلاق الحميدة

الخاصة، وتجده صادقاً في معاملاته وكلامه وحبه للناس، وما يعاديه إلا حاقداً أو سيئ الخلق. قال رسول الله ﷺ: «إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً»^(١).

فالصدق من أشرف مكارم الأخلاق، وهو محبوب عند الخالق والمخلوق، ولنجتهد في تعليم أطفالنا الصدق والحث عليه في حياتنا اليومية.

وقد قيل للقيمان الحكيم: ما بلغ بك ما ترى؟ قال: "صدق الحديث وأداء الأمانة وترك ما لا يعنيني".

٢. الأمانة.

الأمانة في ديننا الإسلامي ترمز إلى معان كثيرة، وليست كما يظن بعض الناس إن المقصود بها حفظ الودائع فقط.

عن عبدالله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسؤول، فالإمام راع وهو مسؤول، والرجل راع على أهله وهو مسؤول، والمرأة راعية على بيت زوجها وهي مسئولة، والعبد راع على مال سيده وهو مسؤول، ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول»^(٢).

* ومن معاني الأمانة ما يلي:

١- أن يحرص المرء على أداء واجبه كاملاً في العمل الذي خصص له، ولا يستغل الرجل منصبه الذي عُيِّنَ فيه لجر منفعة إلى شخصه أو

(١) متفق عليه، من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه البخاري.

قرا بته.

٢- أن تنظر إلى حواسك التي أنعم الله بها عليك، فيجب أن تسخرها في طاعته، فمثلاً: العين، لا تنظر فيها إلى حرام والإذن لا تسمع بها حراماً، وهكذا بقية الجوارح.

٣- أن تحفظ حقوق المجالس التي تشارك فيها فلا تطلق لسانك لتفشي الأسرار وسرد الأخبار، فكم من حبال تقطعت ومصالح تعطلت، لاستهانة بعض الناس بأمانة المجلس وما يدور فيه من كلام. والعلاقة الزوجية أمانة فلا تتكلم فيما يصدر بينكم من حديث ومودة بينكم، فكم من أسرة انهارت وتفككت بسبب إفشاء الأسرار بينهما.

وقد قص علينا القرآن الكريم، قصة موسى عليه السلام عندما سقى لابنتي الرجل الصالح. قال تعالى: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾^(١).

وكذلك عندما يوسف رشح نفسه لإدارة شؤون المال. قال تعالى:

﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾^(٢).

والأمانة توجب أن يوضع للأعمال أحسن الناس قياماً بها، وكما قيل وضع الرجل المناسب في المكان المناسب.

والحديث بين الزوجين أمانة بمعنى لا يفشى بما يدور بينهما من حديث قال ﷺ: «إن من أعظم الأمانة عند الله عز وجل يوم القيامة

(١) القصص، الآية (٢٦).

(٢) يوسف، الآية (٥٥).

الرجل يُفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشر سرها»^(١).

ويدل الحديث على عظم الاسرار بين الزوجين، وكم من زوجة طلقت بسبب إفشائها أسرار زوجها، فيجب على الزوجين ألا يدخل أحداً في شؤونهما، ولا تغفل عن الدعاء أن يصلح أزواجنا وذرياتنا ويجعلهم قرّة عين لنا.

٣. الوفاء بالوعد:

أثنى الله عز وجل على إسماعيل بن إبراهيم -عليهما السلام-. قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾^(٢).

وقد ورد عن عبدالله بن أبي الحمساء قال: بايعت النبي ﷺ بيع قبل أن يُبعث وبقيت له بقية فوعده أن آتيه بها في مكانه فنسيت فذكرت بعد ثلاث فجئت فإذا هو في مكانه. فقال: «يا فتى! لقد شققت علي أنا هاهنا منذ ثلاث انتظرك»^(٣).

فتأمل يا أخي: النظام في المواعيد والالتزام بها يجعل الإنسان في هذه الحياة يسير على نظام معين.

ودائماً الشخص الذي يأتي في الموعد المحدد يدل على حرصه على الوقت وأهميته، وبعضهم لا يهتم بالحضور في المواعيد مع الأشخاص فينبغي الاهتمام بذلك.

(١) رواه مسلم.

(٢) مريم، الآية (٥٤).

(٣) رواه أبو داود (٤٩٩٦).

٤. إفشاء السلام:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»^(١).

مثال: لو شخصاً مر من عندك ولم يلقِ السلام ستجد النفس تنفر من هذا الشخص، بعكس لو سلم كأنه رفع راية بيضاء عند إلقائه السلام عليك، ويدلنا هذا على أن السنة كلها خير.

٥. النصيحة:

عن تميم الداري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي ﷺ قال: «الدين النصيحة». قلنا: لمن؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»^(٢). وطبيعة الإنسان ليس كل شيء يعرفه قد يجهل وينسى أشياء في أمور الحياة. والواجب على المسلم أن ينصح إخوانه في كل خير سواء في أمر الدنيا أو الدين وكذلك النصيحة لمن يسيء ويخطئ على الناس ينصح على أخطائه إما مقابلة أو كتابة ورقة له بتلك التصرفات الخاطئة، وكذلك التوجيه والنصح للأولاد والبنات بالمحافظة على الصلوات واجتناب الأخلاق الفاسدة.

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

٦. الرفق والرحمة في البيوت:

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يَنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ»^(١).

ظهرت في البيوت ظاهرة العنف والقسوة، فلا يكاد بيت إلا تجد هذه الظاهرة فيه إلا ما رحم ربي، الزوج يتشاجر مع زوجته أمام أبنائه، والبنات لا أحد يسأل عن رغباتهن وقضاء حوائجهن.

وكيف كان النبي ﷺ في بيته عندما أقبلت فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تَمْشِي كَأَنَّ مَشِيَّتَهَا مَشِيَّتُ النَّبِيِّ ﷺ، فقال النبي ﷺ: «مرحبا بابنتي» ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم أسر إليها حديثا فبكت. فقلت لها: لم تبكين؟ ثم أسر إليها حديثا فضحكت. فقلت: ما رأيت كاليوم فرحاً أقرب من حزن فسألتها عما قال. فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله ﷺ حتى قبض النبي ﷺ فسألتها. فقالت: أسر إلي «أن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة، وإنه عارضني العام مرتين ولا أراه إلا حضر أجلي، وإنك أول أهل بيتي لحاقاً بي». فبكت. فقال: «أما ترضين أن تكوني سيدة أهل الجنة أو نساء المؤمنين». فضحكت لذلك^(٢).

عن إبراهيم بن سعد قال: "جئت صالح بن كيسان في منزله فوجدته يكسر لهرة له ليطعمها، ثم يفتت لحماً له".

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري.

٧. الحلم وسلامة الصدر:

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ لأشج بن عبد القيس: «إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ»^(١).
قال أيوب: "حِلْمٌ سَاعَةٌ يَدْفَعُ شَرَّ سَنَةٍ".

وقد أثنى الله عز وجل في قوله تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْفَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٢).

أما سليم الصدر فهو الشخص الذي لا يحمل في قلبه غش ولا حقد ولا حسد لإخوانه المسلمين، وهو الذي يهتم لأمر المسلمين ودائماً يلهج بذكر الله عز وجل، ولا يتدخل فيما لا يعنيه ولا يُكثِرُ الجدل والخصام ويتعد عما يلوث قلبه بالمعاصي والآثام. نسأل الله العظيم أن يطهر قلوبنا من الغل والحسد لإخواننا المسلمين.

٨. الابتسامة:

قال رسول الله ﷺ: «تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ»^(٣).
الشخص المتفائل دائماً مبتسم، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: "مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ضَاحِكًا حَتَّى أَرَى مِنْهُ لَهَوَاتِهِ إِنَّمَا كَانَ يَتَبَسَّمُ"^(٤). لهواته: هي اللحمتان في سقف أقصى الفم.

(١) رواه مسلم.

(٢) آل عمران، الآية (١٣٤).

(٣) رواه الترمذي.

(٤) متفق عليه.

وفي مرضه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الذي توفي فيه، تبسم يضحك كما في البخاري من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وعن حبيب بن أبي ثابت قال: "من حسن خلق الرجل أن يحدث صاحبه وهو يتبسم".

أخي في الله: هل تبسم في عملك؟ هل تبسم عند لقاء والديك؟ هل تبسم عند لقاء أولادك؟ هل تبسم في شهر رمضان؟ هل تبسم عند لقاء الناس وخاصة الفقراء والأيتام؟.

إذا أردت أن يكون لك رصيد من الصدقات، فأكثر الابتسام. وعن جرير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: "ما حجبني رسول الله ﷺ منذ أسلمت، ولا رآني إلا تبسم في وجهي" (١).

٩. الهدية:

قال رسول الله ﷺ: «تهادوا تحابوا» (٢).

فالهدية تزيل الأحقاد ومساوئ الأخلاق وعنوان سعادة العباد، يا من بينه وبين أخيه شحنة أهد إلى أخيك هدية وستجد أثرها في ذلك، والهدية ليست بقيمتها المادية بقدر قيمتها المعنوية.

وقبل الإهداء تصفية النية وأن تكون ابتغاء وجه الله عز وجل لا لغرض دنيوي.

ومن الأشخاص الذين غفلنا عن تقديم الهدايا لهم:

أ. العمالة، والخدم في بيوت.

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد.

ب. الاطفال.

ج. اهداء (سواك) للشخص الذي يشرب الدخان.

د. اهداء الوالدين بعض الهدايا أو إعطائهم بعض النقود لتوزيعها في العيد.

١٠. إحسان الظن بالناس والتماس الأعذار لهم:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَحْسَبُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾^(١). والمقصود بالظن: أي ظن السوء بالمسلمين.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: "إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ"^(٢).

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: "المراد بالظن التهمة التي لا سبب لها، كمن يتهم رجلاً بالفاحشة من غير أن يظهر عليه ما يقتضيها". أ.هـ
ومن خلال الأدلة السابقة يتبين أن الظن السوء يكون صاحبه آثماً بذلك، والواجب على المسلم إحسان الظن بإخوانه المسلمين وعدم تنقصهم وإظهار معاييبهم والشتمات بهم ويلتمس الأعذار لهم.
فقد روي عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: "لا تظن بكلمة صدرت من أخيك شراً وأنت تجد لها في الخير محملاً"^(٣).

(١) الحجرات، الآية (١٢).

(٢) متفق عليه.

(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره (٤/١٨٨).

وعن أبي قلابة قال: "إذا بلغك عن أخيك شيء تكرهه فالتمس له عذراً. فقل: لعل له عذراً لا أعلمه".

١١. التواضع:

قال الله تعالى: ﴿وَخُفِّضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١).
وعن عياض بن حمار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ وَلَا يَنْبَغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ»^(٢). وينبغي لنا أن نتواضع مع الخدم والسائقين والضعفة من المسلمين وغيرهم.

ومن تواضعه ﷺ ما روي في الحديث، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه مر على صبيان فسلم عليهم، وقال: "كان رسول الله ﷺ يفعلُه"^(٣).
ومن تواضعه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. قال: «لَوْ دُعِيتُ إِلَى كِرَاعٍ لَأَجَبْتُ»^(٤).

وعن الأسود قال: قلت لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ما كان رسول الله ﷺ يصنع إذا دخل بيته؟ قالت: "كان في مهنة أهله، فإذا حضرت الصلاة خرج فصلي"^(٥).

وعن هشام بن حسان قال: "ذكروا التواضع عند الحسن وهو ساكت حتى إذا أكثروا عليه. قال: لَمْ أَرَاكُمْ قَدْ أَكْثَرْتُمْ الْكَلَامَ فِي

(١) الشعراء، الآية (٢١٥).

(٢) رواه مسلم.

(٣) متفق عليه.

(٤) رواه البخاري.

(٥) أخرجه البخاري.

التواضع؟ قالوا: أي شيء التواضع يا أبا سعيد؟ قال: يخرج من بيته فلا يلقى مسلماً إلا ظن أنه خير منه".

١٢. الحب في الله:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ «أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخَاهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى فَأَرْصَدَ اللَّهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ. قَالَ: أَتِنَ تُرِيدُ. قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ. قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا. قَالَ: لَا غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحَبَّتُهُ فِيهِ»^(١).

فالمحبة الباقية والدائمة هي المحبة في الله عز وجل، أما المحبة الدنيوية تزول بزوال ذلك المحبوب لأجله.

١٣. الإحسان إلى الناس:

قال تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٢).

والإحسان إلى الناس إما ينشر علم، أو شفاعة، أو نصح أو دلالة خير، أو بحل مشاكلهم، أو بالدعاء لهم بظهر الغيب وغير ذلك من أنواع الإحسان القولي والفعلي.

وكان زبيد الياامي رَحِمَهُ اللَّهُ إِذَا كَانَتْ اللَّيْلَةُ الْمَطِيرَةُ أَخَذَ شَعْلَةً مِنَ النَّارِ فَطَافَ عَلَى عَجَائِزِ الْحَيِّ فَقَالَ: "أَتُرِيدُونَ نَارًا؟ فَإِذَا أَصْبَحَ طَافَ عَلَى عَجَائِزِ الْحَيِّ. فَقَالَ: أَلَكُمْ فِي السُّوقِ حَاجَةٌ؟ أَتُرِيدُونَ شَيْئًا".

(١) رواه مسلم.

(٢) البقرة، الآية (١٩٥).

١٤. الكرم والإنفاق في وجوه الخير:

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ رَّبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (١).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «مَثَلُ الْبَخِيلِ وَالْمُتَّصِدِّقِ، كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُتَّانٍ مِنْ حَدِيدٍ قَدْ اضْطُرَّتْ أَيْدِيهِمَا إِلَى تُدْيِيهِمَا وَتَرَاقِيهِمَا، فَجَعَلَ الْمُتَّصِدِّقُ كُلَّمَا تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ انْبَسَطَتْ عَنْهُ حَتَّى تُغْشَى أَنْامِلُهُ وَتَغْفُو أَثَرُهُ، وَجَعَلَ الْبَخِيلُ كُلَّمَا هَمَّ بِصَدَقَةٍ قَلَصَتْ وَأَخَذَتْ كُلَّ حَلْقَةٍ مَكَانَهَا». قَالَ: فَأَنَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: بِإِصْبَعِهِ فِي جَيْبِهِ فَلَوْ رَأَيْتَهُ يُوسِّعُهَا وَلَا تَوْسَعُ (٢).

الجنة: الدرع. ومعناه أن المنفق كلما أنفق سبغت وطالت حتى تجر وراءه، وتخفي رجليه وأثر مشيه وخطواته.

وقال عبد الله بن العباس لابن أخيه: "إن أفضل العطية ما أعطيت الرجل قبل المسألة، فإذا سألك فإنما تعطيه ثمن وجهه حين بذله إليك!" وقد عوتب بعضهم في كثرة النفقة فقال: "إذا أراد أحد أن يترك منزله، هل يدع فيه شيئاً؟ قالوا: لا".

(١) سبأ، الآية (٣٩).

(٢) متفق عليه.

١٥. مشاركة الناس أحوالهم:

عن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»^(١).

مشاركة الرسول ﷺ الناس في أحوالهم ما روى أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلِيمٍ فَرَأَى أَبَا عَمِيرٍ حَزِينًا. فَقَالَ: «يَا أُمَّ سَلِيمٍ مَا بَالُ عَمِيرٍ حَزِينًا؟» قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَاتَ نَعِيرُهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا أَبَا عَمِيرٍ مَا فَعَلَ النَّعِيرُ»^(٢).

ومن مشاركة الناس أحوالهم: حضور الزواج، وزيارة مريضهم، وإتباع جنازتهم.



(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

المال

المال نعمة من الله عز وجل للعبد الصالح به يقوم حياته وينفع إخوانه المسلمين، وللمال ضوابط منها:

* اجتناب الشبهات والمعاملات الربوية، لأنه ورد عن النبي ﷺ قال: «أول ما ينتن من الإنسان بطنه، فمن استطاع أن لا يأكل إلا طيباً فليفعل»^(١).

* والواجب على كل مسلم تحري أكل الحلال، ولا ينخدع بتلك الإعلانات عن بعض المساهمات إلا بعد معرفة جواز التعامل بها.

* أصناف الناس في المال:

١- صنف بخل بالمال على نفسه وأولاده، وحرّم نفسه من الاستمتاع به وإظهار نعمة الله عز وجل عليه، تجد حياته في شقاء، وأولاده في عناء فيتمنون فراقه اليوم قبل الغد.

٢- صنف ينفق على أولاده ويقضي حوائجهم، وليس له مساهمة في مجالات الخير والاحسان إلى الناس.

٣- صنف يقوم بالنفقة على أهله، ويبذل الخير والاحسان إلى الناس، وهذا الصنف من أفضلهم.

يقول ابن القيم -رحمه الله تعالى-: "متى كان المال في يدك؛ وليس في قلبك لم يضرّك ولو كثر".

وعلى العاقل اللبيب أن يبذل المال في طرقة، ويحتنب بذله في الحرام؛ لأنه ورد عن النبي ﷺ في الحديث: «...وماله فيما أنفقه ومن أين اكتسبه...»^(١).

والمال إذا لم تتفع به في حياتك، أنتفع به ورثتك من بعدك، والوسطية في الأمور مطلوبة.

قال تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾^(٢). أي: يعوضه عاجلاً أو آجلاً.

تنبيه: إن كان الإنسان ذو مال كثير، فليجعل لنفسه حظاً من الوقف. * ومما يدل على أهمية الوقف:

أن أكثر الصحابة جعلوا لأنفسهم وقفاً قبل موتهم - رضي الله عنهم أجمعين -.

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي - رحمه الله تعالى -: "اعلم أن الوقف الذي هو تحبيس الأصل وتسييل المنافع من أعظم ما يدخل في الإحسان وأعلاها وأكثرها فائدة، وهو من الأعمال التي لا تنقطع بموت الإنسان ومن الآثار التي تبقى قال الله تعالى:

وقال ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»^(٣).

(١) رواه الترمذي.

(٢) سبأ، الآية (٣٩).

(٣) رواه مسلم.

المال

فالصدقة الجارية: كالأوقاف الجاري نفعها في كل وقت وزمان،
سواء كان وقفاً للمصالح العامة كالمجاهدين والمعلمين والمتعلمين، ومن
يقوم بوظيفة من الوظائف الدينية أو خاصة لطائفة أو أفراد أو على فقراء
ومساكين، فكل هذا من طرق الإحسان النافع، وإن كان يتفاوت نفعه،
وحصول كمال وقفه "أ. هـ.



النظافة والتجمل والصحة

١. النظافة.

إن النظافة من أسباب صحة الأجسام وجمالها ونضرتها من الأمور التي وجّه الإسلام عناية فائقة، ولن يكون الشخص محترم الجانب ألا إذا تعهد جسمه بالتنظيف والتهديب، وكان في مطعمه ومشربه وهيئته الخاصة بعيداً عن الأدران المكدره، والأحوال المنفرة، والشخص الذي لا يهتم بنظافة جسمه تجده مهموماً مغموماً لما ينبعث من جسمه الروائح الكريهة.

ولقد أهتم الإسلام بتطهير الفم، لما ثبت عن الرسول ﷺ: «لولا أن اشق على أمتي لأمرتهم بالسواك»^(١).

والذي يلحظ أمراض الفم واللثة من إهمال تطهيرهما، يدرك سر مبالغة الإسلام في ذلك الأسنان بالمواد الحافظة لرونقها وسلامتها، دلکاً يزيل ما يعلوها وما يختفي حولها.

٢. التجمل.

ويوصي الإسلام بأن يكون المرء حسن المظهر قال تعالى: ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾^(٢).

قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من

(١) رواه البخاري.

(٢) الأعراف، الآية (٣١).

كبر». فقال رجل: إن الرجل يُحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة. فقال: «إن الله تعالى جميل يحب الجمال»^(١).

فلا ينبغي للمسلم أن ينسى العناية بزيّه ونظافته واكتماله.

ولقد امتد هذا التطهير والتجميل من أشخاص المسلمين إلى بيوتهم وطرقهم، فإن الإسلام نبه إلى تخلية البيوت من الفضلات والقمامات حتى لا تكون وباءة للحشرات، ومصدراً للعلل والروائح الكريهة، وطرق المسلمين لا بد أن تكون نظيفة جميلة، قال رسول الله ﷺ: «إمالة الأذى عن الطريق صدقة»^(٢).

والأذى في الطريق كالحجر أو الشوك أو النجاسة وغير ذلك مما يؤدي المارين في الطريق.

٣. الصحة.

يقول ابن القيم - رحمه الله تعالى -: "لا يمكن للجسم أن يكون صحيحاً ما لم تكن النفس مطمئنة ومستقرة، ولن تكون النفس سليمة ما لم يكن الجسم صحيحاً، ألم تر أن كثيراً من الأمراض تبدأ بالاضطرابات العصبية!" أ. هـ.

فقد ثبت أن القلق منشأ اضطرابات كثيرة في وظائف الأعضاء، وتقاعس الكلى عن العمل واضطرابات هضمية، وبطء الدورة الدموية والتشاؤم مصدر البطء التمثيل الغذائي وفقدان الشهية للطعام، والنحافة والضعف، ولن يكون العلاج ناجحاً إلا إذا عالج النفس

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

والجسم معاً.

- عناية الإسلام بالنظافة والصحة جزء لا يتجزأ من عنايته بقوة المسلمين، وللجسم الصحيح أثر لا في سلامة التفكير فحسب، بل في تفاؤل الإنسان في الحياة.

من أجل ذلك حارب الإسلام المرض ووفر أسباب الوقاية بما شرع من قواعد النظافة الدائمة كما سبق.

- أن الرسول ﷺ نهى عن الحديث بعد العشاء؛ لأنه يؤدي إلى السهر والسهر له أعراض كثيرة منها احمرار العينين وتعكر الشهية للأكل وضعف في البدن... وينبغي للمسلم أن يعتدل في شؤونها كلها من نوم وأكل ومشرب؛ لأن ديننا وسط في جميع شؤون الحياة.



ربات الخدور

المرأة في الإسلام لها مكانة عظيمة، في القرآن الكريم سورة كاملة (سورة النساء)، وقصة مريم -عليها السلام-، آسية بنت مزاحم (امرأة فرعون).

والعناية بالمرأة يجب أن يكون محل اهتمام جميع أفراد العائلة منذ مراحلها الأولى من العمر، جاءت فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إلى الرسول ﷺ وهو جالساً وقام وقبل جبينها، ثم أقعدها بجواره.

هكذا يكون العطف والحنان على البنات؛ بالابتسامة والاستقبال المفعم بالحب والتقدير، لكن كثيراً من الآباء يهمل هذا الجانب. أقول من الآن، وأنت تقرأ هذه الكلمات غير طريقتك مع أفراد أسرتك.

* توجيهات في معاملة البنات:

١- إظهار الحب والتقدير للفتاة والسؤال عن حال سيرها في الدراسة.

٢- طبيعة المرأة يغلب عليها الحياء ومن واجب الأدب تعليم البنات والأولاد مسائل الطهارة والصلاة... الخ وإن كان لا يحسن ذلك يوفر لهم بعض الكتيبات أو البرامج الالكترونية التي تتحدث عن هذه المواضيع؛ لأن الأولاد أمانة يجب الاعتناء بهم.

٣- تعليم الفتاة عند الإقبال على الزواج الأمور المهمة في الحياة

الزوجية ومنها:

أ- احترام وتقدير الزوج.

- ب- ليلة الدخلة أول ليلة من الزواج.
- ج- ما بعد ليلة الزواج.
- د- استقبال الزوج عند قدومه من العمل.
- هـ- تنظيم أوقات الزيارات.
- و- التعاون على التقوى (قراءة القرآن- أو صيام تطوع- أو قيام الليل- أو صدقة تطوع- عمل طعام وإهدائه للجيران).
- ٤- بعض الآباء يمنع أبنته الزواج إما طمعاً في راتبها إن كانت موظفة، أو الحجة بأنها صغيرة أو تكمل دراستها الجامعية، أو أنها لا تتزوج قبل أختها الكبيرة ويتم الرفض، وعلى الأب أن يحكم عقله ويزن الأمور بأمور الشرع لا بالأهواء الشخصية.
- ٥- وضع هدايا تشجيعية لحفظ القرآن الكريم للبنات والبنين.
- ٦- تربية البنات من طفولتهن على الستر، وعلى الحياء من محارمهن بارتداء اللباس المحتشم أمامهم، ويتعاون جميع أفراد الأسرة على ذلك.
- ٧- الاهتمام بتأدية الصلاة، وخصوصاً الفجر والعصر.
- وأهمس في أذن الفتاة أقول إذا ذهب الحياء حل البلاء. قبل لباسك اللباس العاري أو الشفاف تذكرني قول النبي ﷺ: «صنفان من أهل النار لم أرهما، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائل لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا»^(١).

عناا اابساا القاصرا العاررا أو البناطلون الضرق هناك من رعاابهن لباساك فلبسا مثلك تقلداً لك؁ وناأاملاا أوارهنّ. لا تقولا: "أنا لم أقل لهن رفعلن مثلا؁ لا شأن لرا بهن كل إنسان مسؤول عن تصرفاته؁ أرا أنترا؟ من قول الله تعالى: ﴿لرأاملا أوارهم كاملا يوم الأقامة ومن أوار اللرا أنزلونهم برار علم ألساء ما رزونا﴾ (١).

معنا قولها تعالى: ﴿برار علم﴾. أرا: أرلون الناس أاهلا ررا عالرا بما رعاونهم إرا؁ ولا عارفرا بما رلزمهم من الآاام. قال ﷺ: «ومن اعا إلى ضلالة كان علرا من الاثم مثل آاام من ربعها لا رنقص ااك من آاامهم شرا» (٢).

* أألا كم امرأة سنااا في كل مكان اأهرا إرا؟. وبعض النساء تقول: كأرا من النساء رلبسا العاررا والشافا والبنطلون ولستا الوحرا في ااك. - لرا العبرا بكأرا الهالكرا؁ إنما العبرا بقلا النأرا.

قال تعالى: ﴿وان أااع أكأر من فرا الأرض أرلون عن سالا الله﴾ (٣). - والقابض على اارنا في زما الفنا له أأر عأرا.

(١) النحل؁ الآية (٢٥).

(٢) رواه مسلم.

(٣) الأنعام؁ الآية (١١٦).

* طرق اكتساب الحياء:

١. حياء الإجلال: وهو حياء المعرفة، وعلى حسب معرفة العبد بربه يكون حياؤه منه، وذلك بالتعرف على الله بأسمائه الحسنی وصفاته وعظمته في آياته وأفعاله.

- مراقبة الله عز وجل. قال تعالى: ﴿الرَّيْعَمَ أَنَّ اللَّهَ يَبْصُرُ﴾^(١). قال ابن القيم -رحمه الله تعالى-: "إن العبد متى علم أن الرب تعالى ناظرٌ إليه أورثه هذا العلم حياءً منه سبحانه، فجذبه إلى احتمال أعباء الطاعة" أ. ه.
- ومن أعباء الطاعة البحث عن ملابس محتشمة مناسبة، ويبذل الجهد والمال؛ والصبر على كلام بعض النساء التي يسخر منهن، ودعاة التنصير وتحرير المرأة، وكل هذا تؤجرين عليها وترفع درجاتك عند الله عز وجل.
- حياء المرأة من نفسها: فهو حياء النفوس الشريفة العزيزة البعيدة عن الرذائل.

- تذكري الموت وما بعده، وبما ذا تقابلين ربك الذي أنعم عليك بالنعم الكثيرة.

- لبسُ هذه الملابس العارية أو الشفافة ليست من لباس المسلمات المؤمنات. قال ﷺ: «من تشبه بقوم فهو منهم»^(٢).

- أن تعلم المرأة أن ذلك سبب للإصابة بالعين والحسد.
- التعرض للتهمة وسوء الظن باللباس غير الشرعي.
- الوقوع فيما حرم الله عز وجل، وذلك بإظهار المحاسن أمام

(١) العلق، الآية (١٤).

(٢) رواه أحمد، وأبو داود.

النساء مما يغري بعضهن ببعض.

* كيف آحتسبن الأآر عآء اسآءءام الءاف (الآابآ - الآوال)؟.

١ - آواب صلة الرحم عآء مآءآآك لذوي رحمك. قال رسول الله ﷺ: «من سره أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره فليصل رحمه»^(١).

٢ - آواب إءآال السرور على من آآاءآين، عآء اآصالك للسلام والسرؤل عآء الأحوال.

٣ - آواب الكلمة الطيبة، في مكالمآآ آآهنئة أو آآززية وغيرها. قال رسول الله ﷺ: «الكلمة الطيبة صدقة»^(٢).

٤ - آآاسبى نية العبادة وآآقرب إلى الله عآء اسآءءامك للءاف بما يفيد عموماً.

٥ - آآاسبى الآفاظ على وقتك باسآعمال الءاف (الآوال) لعمل أكآر من عبادة في وقت قصير كسماع قراءة قرآن أو كلمة وعظيه، أو إرسال بعض الفوائء والعبارات الجميلة.

أما الءاف (الآابآ) مثال: مكالمة هآفية آآرينها مع والءآك سآآاسبين فيها العبادآآ الآالية: [بر الوالءين، صلة الرحم، إءآال السرور على مسلمة، قضاء آآآتها إن كان لها آاجة، الكلمة الطيبة، آآر السلام في بءاية ونهاية الاآصال والءعاء بالآوفيق والآبات على الءين آآى الممآآ... إلآ].

٦ - آآر قضاء آوائآ المسلمين عآءما آآصل بك من آآلب منك بعض الآآآات أو المساعدة في آل مشكلة آعاني وقد يسآءعى الامر أن

(١) مآفق عليه.

(٢) رواه البخاري.

ربات الخدور

تقومي بالاتصال هاتفياً بها عدة مرات من أجل قضاء حاجتها. قال رسول الله ﷺ: «من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته»^(١).

٧- احتسبي الأجر عند استخدامك للهاتف أن يساعدك على القرار في البيت فذلك أمر يحبه الله؛ لأنه أمرنا به. قال تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾^(٢)، فبإمكانك استخدام الهاتف للتقليل من حاجتك إلى الخروج كالسؤال عن بعض الأقارب، أو التأكد من وجود ما تريدينه في المكان الذي ستقصدينه قبل الذهاب إليه لئلا تضطري للخروج من منزلك عدة مرات.

٨- ثواب للدعوة إلى الهدى والدلالة على الخير عندما تقومين ببعض المكالمات أو إرسال الرسائل عن طريق الجوال تعلنين من خلالها عن إقامة محاضرة أو تدليل على كتاب نافع أو أي عمل صالح، قال رسول الله ﷺ: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص من ذلك من أجورهم شيئاً»^(٣)، هكذا يتضاعف أجرك بعدد الذين يستجيبون لك.

وبالمقابل هناك نساء ضعيفات الإيمان ما أن يسمعن عن خلاف بسيط بين اثنتين إلا يشعلن نار العداوة عن طريق الهاتف فهذه تفسد زوجة على زوجها، وتلك تحرض الأخرى على أم زوجها أو على زوجة أبنها... إلخ، فليتقين الله هؤلاء النسوة ويخافنا عذاب الله، فقد قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة نمام»^(٤).

(١) متفق عليه.

(٢) الأحزاب، الآية (٣٣).

(٣) رواه مسلم.

(٤) متفق عليه.

العلم والعمل

قال تعالى: ﴿فَنَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾^(١)، فيأمر الله عز وجل نبيه ﷺ بالزيادة من العلم.

إخواني: بادروا بطلب العلم ومعرفة أحكام الدين. قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة»^(٢).

فالعلم يقترن مع العمل فهما قرينان، فإن ترك أحدهما هلك وخسر، فكن عالماً أو متعلماً أو مستمعاً أو محباً، ولا تكن الخامسة وهي المبغض لأهل العلم.

(علم بلا عمل كشجر بلا ثمر).

قال سفيان الثوري: "أكثرُوا من الأحاديث، فإنها سلاح".

فبالعلم والعمل تصفو الحياة ويزداد المرء تقرباً إلى الله عز وجل بفعل الطاعات وترك المنكرات، فالعلم يجرسك والمال تحرسه، فكم من ميت مات ونسي ذكره إلا العلماء؟ فإنهم لم يُنسَوْ لأنهم ورثة الأنبياء، الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم.

فالعلم نور والجهل ظلام، وخاصة هذه الأيام التي كثرت فيها البدع والشركيات، نسأل الله السلامة والعافية.

(١) طه، الآية (١١٤).

(٢) رواه مسلم.

ومن أشرف العلوم تعلم القرآن الكريم بالتدبر والتفهم عن معانيه، ثم الصحيحين البخاري ومسلم، فالعمر قصير فلا تنظر إلى الهالك كيف هلك ولكن انظر إلى الناجي كيف نجا، فالعالم العامل بالعلم تجد حركاته وسكناته، وفقاً لسنة النبي ﷺ قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالْذَوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ (١).

أولادنا يتعلمون العادات أكثر مما يتعلمون العبادات.

عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ قال: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته الأمير راع، والرجل راع على أهل بيته، والمرأة راعية على بيت زوجها وولده، فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» (٢). فالواجب على الأب والأم تعليم الأبناء هدي النبي ﷺ في المأكل والمشرب وعند دخول الخلاء وعند النوم، وفي شؤون الحياة اليومية، فكما قيل إن تبذر خيراً تجني ما زرعت.

فلا تأنس بالعمل ما دمت مستوحشاً من العلم ولا تأنس بالعلم ما كنت مقصراً في العمل، ولكن اجمع بينهما وإن قل نصيبك منها، وهل أدرك من أدرك من السلف الماضين الدرجات العلى إلا بإخلاص المعتقد، والعمل الصالح والزهد الغالب في كل ما راق من الدنيا، وهل وصل الحكماء إلى السعادة العظمى إلا بالتشمير في السعي والرضى بالميسور، وبذل ما فضل عن الحاجة للسائل والمحروم.

وعن أبي إسحاق قال: "قيل لرجل من عبد القيس أوص. قال:

(١) فاطر، الآية (٢٨).

(٢) رواه البخاري.

احذروا سوف" (١).

قال بعضهم: اطلب في الحياة العلم والمال، العلم لإزالة الجهل عن نفسك وعن المؤمنين، والمال لاستعماله فيما يرضي الله عز وجل لا للتكاثر والتباهي، وكما قيل: من أراد الدنيا فعليه بالعلم، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم، فهذا يدل على فضل العلم.

قال الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ: "ما كتبت حديثاً إلا وقد عملت به، حتى مرّ بي أن النبي ﷺ احتجم وأعطى أبا طيبة ديناراً، فاحتجمت فأعطيت الحجام ديناراً".

قال أبو الدرداء: "إن أخوف ما أخاف إذا وقفت على الحساب أن يقال لي: قد عَلِمْتَ فماذا عَمِلْتَ بما عَلِمْتَ".

أخواني: لن نعرف سنن المصطفى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، إلا بالعلم فالوسائل متاحة والإمكانات متوفرة والله الحمد، وما عليك إلا العزيمة على ذلك.

يقول الشافعي رَحِمَهُ اللهُ: "طلب العلم أفضل من صلاة النافلة". وعن عمر بن عبدالعزيز قال: "من عمل على غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح".

وقيل لعطاء بن رباح: "ما أفضل ما أعطي العباد؟ قال: العقل عن الله عز وجل".

وقال عبدالرحمن بن مهدي: "الرجل إلى العلم أحوج إليه منه إلى الأكل والشرب".